

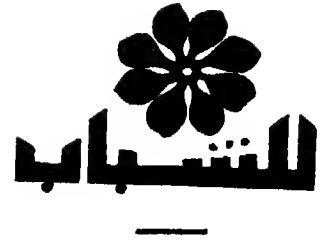


من جمال عبد الناصر
الحب أبناء الثورة



مكتبة كمام
صيدا لا تتحارب

نتيلة راشد



حماية كفاح ضد الاستعمار

نشرة راشد

الهيئة الوطنية العامة للتأليف والنشر

يوليو ١٩٧١



من جمال عبد الناصر
إلى أبناء الثورة

صمم الغلاف والرسوم
سعد عبد الوهاب

كلمة صغيرة .. للأبناء الكبار

كنت صغيرة ، وحيرتني شيءٌ مجهول لا أعرفه ؛ اسمه الاستعمار وسألت نفسي ، كما سألتُ الكبار ، عن الاستعمار . . . ما الاستعمار . . . من هو ؟ وما شكله ؟ حيرتني جداً هذا الاستعمار ، لدرجة أني في كثيرٍ من الأوقات كنتُ أتخيلُ له أشكالاً غريبةً وعجيبةً ، ولأنسي أني حاولتُ رسمه مراتٍ ومراتٍ ، وفي كل مرة كنت أحسُّ أنه شيءٌ يختلفُ عن الرسم فعلاً ، حيرتني جداً هذا الاستعمار ، ولا أذكر لهذا سبباً واضحاً ، ولكني كنتُ أحسُّ في أعماقِ أعماقي ، أنه شيءٌ يقفُ ضدي شخصياً ، شيءٌ يمنعني من أن أكبرَ أو أنموَ ... وكرهته من أعماقِ أعماقي أيضاً ... كنت لا أعرفه ، وإنما أسمع اسمه باستمرار .. كنتُ أسأل :

– لماذا لا يذهب كل الأطفال للمدرسة ؟ لماذا لا يتعلم كل الناس ؟
والجواب :

– الاستعمار لا يريد لنا العلم ، ولا الحياة ..
وأسأل :

لماذا نحن فقراء ؟

– يقولون : الاستعمار سرقنا ونهب ثرواتنا ...
ولا أتعب من السؤال :

– فلاح بلدنا يزرع القطن ... في أرضنا ... إذن لماذا
لأنجد القماش لماذا تشتريه أمى بالبطاقة ؟
– بسبب الاستعمار والاحتلال ...

– لماذا ذهب ابن عمى ولم يعد ... لماذا ذهب حسن ..
وأیضا علی ؟
والجواب :

– هما شهيدا الوطن ضد الاستعمار ..
– ولماذا نسمع صفارة الإنذار .. صفارة الخطر
ولماذا لا نرى غير الظلام ... ؟
مرة أخرى بسبب الحرب والانجليز .. والاستعمار

لماذا ... لماذا ... لماذا ؟ .. ودائماً الجواب : الاستعمار ...
وكبرتُ ... برغم أنف الاستعمار ... ولما كنتُ في مثل
سنك ... بدأتُ أسأل الكتابَ ... وأسأل التاريخَ عن
الاستعمار ... عن عدوِّ القديم ...

أجابَ ، وحكى تاريخنا الكبيرَ العريضَ ، حكاية
كفاحنا ضد الاستعمار ... قرأتُ عن عمرَ مكرم ... محمد
كريم ... وعرابي ... هذا البطل الذي كنتُ أحبه ، والزعيم
مصطفى كامل ، والزعيم محمد فريد ... احترمتُ كفاحه
وصدقته وقدرتُ وانحنيتُ إعجاباً لنضال طلعت حرب ...
وعبد الله النديم اعتبرته جدِّي .. هكذا لماذا ؟ ... لستُ
أدرى ... وكنتُ أتصور أني حفيدة شهداء دنشواي الذين
سقطوا برصاصِ الإنجليز ... برصاصِ الاستعمار .

وكرهتُ الاستعمارَ أكثرَ وأكثرَ ، فهو يقتلُ الأحرارَ
الشرفاء .. يقصِّفُ عمرَ الأبطال ، ويخنق بلدى بأقدامه ،
يعصرها بلارحمةٍ ، فعاشت في نزيفٍ حادٍّ لسنين طوال ...
وعرفتُ أنه ليس عدوِّي وحدي .. بل هو العدوُّ الأوَّلُ لهذا
الشعب ... وعرفتُ قصةَ نضالِ هذا الشعب ضدَّ الاستعمار .
تاريخنا يقول : إن شعبنا قاتلَ وكافحَ وناضلَ ضدَّ
الاستعمار .. وقَدَّم الشهداءَ بسخاءٍ .. إنها سيمفونيةُ بطولةٍ

عزَف أنغامها هذا الشعب ، بلا تعبٍ ولا مللٍ سنينَ طوالاً
من الصعب حسابها ... إنها سيمفونيةُ البطولةِ والشرف ..
أحلى نغم



ومن بين الشهداء ، الثائرُ جمالُ عبد الناصر .. الفارسُ
العربيُّ الذي توجَّ كفاحُ أجداده الأبطال ... واليوم ...
وبعد أن أصبحتُ أمًّا لثلاثةِ أبناء سألوني هم أيضاً عن
الاستعمار ... من هو ... وما هو ... وما معنى الاستعمار ؟
نفس السؤال ... والإجابة في هذه المرة يحكيها كاملةً ،
ابنُ مصرَ الثائرة .. يحكيها : جمالُ عبد الناصر ... يحكي لنا
قصةَ كفاحِ هذا الشعب من أجلِ السَّلام ... من أجلِ
الاشتراكية ... من أجلِ الديمقراطية ... من أجلِ الوَحدةِ
العربية ... من أجلِ فلسطين ... ومن أجلِ الحريةِ وضد
الاستعمار ...

وهو يَروى هنا على هذه الصفحات قصةَ نضالِ الشعب
ضد الاستعمار لنعرفه ونفهمه ، ونكافح ونُقاتل الاستعمار ...
فلا يكفي أن نكرهه ، إنما لا بدَّ من النُّضال ... والقتال ...
وهذه الأفكارُ أفكاره هو ، وهذه الكلماتُ كلماته هو ..
كلماته البسيطة ... جمعتها لكم من خطبه وأحاديثه لتحكي



لكم حكاية كفاحنا ضد الاستعمار .. والراوى جمال عبد الناصر
واحد من الثوار ... عاهدناه ، وأقسمنا كلنا يوم ودّعنا :
بالجيش ... بالشعب ... حنكمل المشوار ...
بالروح ... بالدم حنكمل المشوار ...

نتيلة راشد

ماما لبنى

جوالأسرة وأيام الطفولة

إننى الأبن الأكبر لأسرةٍ مصريةٍ .. من الطبقةِ المتوسطةِ الصغيرةِ .. كان أبى موظفاً صغيراً فى مصلحة البريد .. مرتبهُ الشهرى حوالى عشرين جنيهاً . وهو مرتبٌ يكفى بصعوبةٍ لسدِّ ضروراتِ الحياة .

وُلدتُ فى الأسكندرية .. لكنَّ ذكرياتى الأولى كلها فى قرية « الخطاطبة » وهى قرية تقع بين القاهرة والأسكندرية حيثُ كان أبى يعملُ وكيلاً للبريد .

كنّا دائماً أسرةً سعيدةً .. يحكمها أبى .. وأُمى ، كنا نتفانى فى حبها .. أنا وأخوتى .

وظلتُ مرةً أحاول أن أفهمَ عبارةً كثيراً ما هتفتُ بها ، طفلاً صغيراً حينما كنتُ أرى الطائراتِ فى السماء :

« ياربنا يا عزيز .. داهية تاخذ الانجليز »

اكتشفتُ فيما بعدُ أننا ورثنا هذه العبارة عن أجدادنا
على عهد المماليك ولم تكن يومها منصبة على الإنجليز ..
تغيّر اسم الظّالم .. كان أجدادنا يقولون :

« يارب يا متجلى .. اهلك العثملى » .

وفي سنة ١٩٣٠ ، وأنا شابٌ صغيرٌ (١٢ سنة) كنتُ في
المدارس الثانوية بالإسكندرية ، في السنة الثانية الثانوية
(ما يعادل الثانية الإعدادية الآن) ، وفي ميدان المنشية بالذّات ،
كنتُ أنادى بالحرية ، وأنادى بالاستقلال .. كنا في هذا
الوقت صغاراً ، وكنا ننادى بهذه الألفاظ ولم نكن نعرفُ
لها معنى ، فقد وُلدنا في عهد الاحتلال والاستبداد ، فلم
نتمتع بالحرية .. لم نعرفها ..

كنا ننادى بالحرية والاستقلال ، مشاعر ورثناها من
أجدادنا وآبائنا .

وكنتُ طالباً أمشي مع المظاهرات ، وكان الرصاصُ
يُطلقُ في المظاهرات وكان الطلبة يموتون في الشوارع ..
كنا نرى الرصاص يصرعُ إخواننا .. ولم يشعر أحدٌ منا
بالخوف ..

أذكر أنني أعجبتُ في طفولتي بعدد كبير من الأبطال ،
أعجبنى «غاندى» كثيراً . وعندما كنتُ صبيّاً أُلقيتُ دروسَ
الدين في المدرسة ، استحوذ سيدنا محمدٌ عليه الصلاة والسلام
على كل إعجابى وتقديرى فقد كان قائداً وزعيماً كرّس
حياته لخدمةِ قومه وتحريرهم من ظلمةِ الجاهليّةِ وضلالِها .
وكان أبى قلقاً بسبب آرائى السياسية حتى أيام التلمذة
فقد سجن أخوه أيامَ الحرب العالمية الأولى بتهمة الإثارة
السياسية ولذا كانت مخاوفه طبيعية .. كان يخافُ أن يُحلَّ
بى ما حلَّ بعمى ..



وكثيراً ما سُئلتُ : متى أصبحتَ ثورياً لأوّل مرةٍ ؟
وهو سؤالٌ تستحيلُ الإجابة عليه .. فهذا الشعور نتيجةَ
ظروفٍ تكوينيةٍ ونشأتى .. ونتيجةَ شعورٍ عامٍّ بالسُّخْطِ
والتحدّى أحسّ به كلُّ أبناء جيلى فى المدارس والجامعات .
مازلت أذكرُ بوضوحٍ أوّلَ صدامٍ لى مع السُّلطة ..
كنتُ تلميذاً فى الأسكندرية .. لم أبلغ الخامسة عشرة من
عمرى .. كان ذلك سنة ١٩٣٣ .. وكنتُ أعبرُ ميدان
المنشية فى الاسكندرية ، حينما وجدتُ مظاهرةً واشتباكاً
بين قواتٍ من البوليس وبين التلاميذ .. رأيتُ أفراداً من

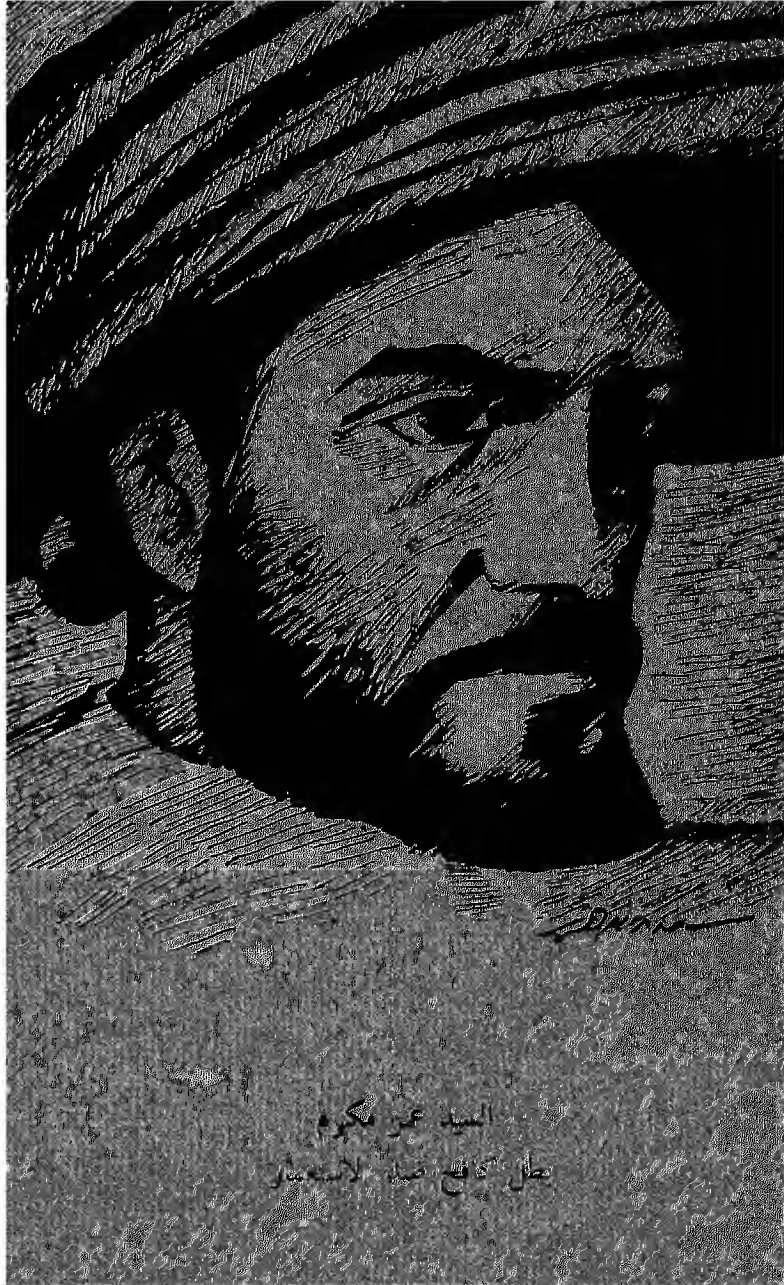
الجماهير في صدامٍ مع السلطة . لم أترددْ ، انضمت على الفور إلى جانب المتظاهرين دونَ أنْ أعرفَ أيَّ شيءٍ عن سببِ المظاهرة ، اشتركتُ مع الناس وضربتُ البوليسَ . اتخذتُ موقفي دون ترددٍ في الجانب المعادي للسلطة . مرّت لحظاتٌ .. سيطرتُ فيها المظاهرةُ على الموقف حتى جاءت عربتان «لورى» محملتان برجالِ البوليس وهجمتا علينا .



ولاني أذكر أنني حاولت - محاولةً يائسةً - فألقيت حجراً ، لكنهم أدركونا في لمنحِ البصر .. وحاولتُ أن أهزّبَ ، لكنني عندما التفتُ هوت على رأسي عصا البوليس ، وحين سقطتُ تلتها ضربةٌ ثانية ، ثم شُحنتُ إلى الحجز والدم يسيلُ من رأسي مع عددٍ من الطلبة الذين لم يستطيعوا الإفلات ، بالسرعة الكافية ..

وأخذوني إلى قسم البوليس . وهناك سألتُ عن سببِ المظاهرة ، فعرفتُ أنها مظاهرة للاحتجاج .. على سياسةِ الحكومةِ نظمتها «جماعةُ مصرَ الفتاة» .

وبقيتُ بالقسم إلى أن حضر شيخ الحارة وأخرجني بضمانه ..



السيد عمر مكيوم
عقل كافح ضد الاستعمار

وكان أبى مصرّاً على معارضة مشاعرى وأعمالى الثورية ،
فقد كان كلُّ أمله أن نحيا حياةً آمنةً بعيدةً عن المزعجات .
أما أمى فقد كانت تنظر إلى السياسة نظرَها إلى شىءٍ لا يعينها ،
وكانت العلاقةُ بيننا ، هى علاقة الحبِّ الخالص الذى يربط
ما بين الأمِّ وولدها .



بعد اشتراكى فى المظاهرة السياسية الأولى دخلتُ السجنَ ...
دخلته تلميذاً متحمساً ، وخرجتُ منه مشحوناً بطاقةٍ كبيرةٍ
من الغضب ، وأصبحتُ رئيساً للجنةِ تنظيمِ المقاومةِ
الساخطة ، ودخلتُ هذا الميدانَ بكل جوارحى . وضاق
المسؤولون فى المدرسة بنشاطى ، ونبّهوا أبى ، فأرسلنى إلى
القاهرة لأعيش مع عمى ، وألتحقَ بمدرسةٍ أخرى هناك .

وفى نفس البيت الذى كنت أعيش فيه مع عمى بالقاهرة ،
كانت تسكنُ بعض العائلات اليهودية - لقد كان بيننا وبين اليهود
كيهود روابطٌ عديدة ، فموسى نفسه كان مصرياً ، وشعورى
المعادى وُلد فيما بعد بسببِ شىءٍ واحدٍ هو الحركةُ الصهيونية
التي اغتصبتْ جزءاً من الأرض العربية : فلسطين .

وفى تلك السنوات المبكرة من عمرى حدثَ لى حادثٌ
أثّر فى عواطفى أكثر من أى شىءٍ آخر .. فى تلك الفترة

لم أكن أكثر من رحلاتي لزيارة أسرتي ، ولكنني حين انقطعتُ أنباءُ أمي فترةً من الزمن سافرتُ لزيارة أسرتي ، ولما وصلتُ البيتَ لم أجدها أثراً .. وعلمتُ أنَّها قد ماتت قبلَ زيارتي بأسابيع ، ولم يجد أحدٌ الشجاعة الكافية ليخبرني بموتها .. اكتشفتُ موتها بنفسى .. بطريقة هزت كياني ..

إن فقدتُ أمي في حدثٍ ذاته أمرٌ محزن للغاية ، أما أن أفقدها بهذه الطريقة فقد كان صدمةً تركت فيَّ شعوراً لا يمحوه الزمن ، وقد جعلتني آلامى وأحزاني الخاصة في تلك الفترة ، جعلتني أجده ضيقاً شديداً في أن أسبِّب الآلام والأحزان للغير فيما بعد في مستقبل السنين .

وعدتُ إلى القاهرة وبدأتُ نشاطي السياسي بصورةٍ أعنفَ من قبلُ ، وخففتُ الزمن صدمتي ، ولكنني ظللتُ مبتعداً عن أسرتي لعدة سنواتٍ .



ومنذ عام ١٩٣٤ بدأتُ أقرأ كثيراً عن مصطفى كامل .. قرأتُ تاريخَ حياته ومقالاته الوطنية الحماسية وقرأتُ مؤلفات توفيق الحكيم والدكتور طه حسين ، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من القصص والتراجم والأسفار .. وكنتُ أجده متعةً عند قراءة الكتب عن الثورة الفرنسية وأعجبنى فولتير

وقرأتُ لشارلز ديكنز . وكنتُ أهتم اهتماماً خاصاً بقراءة كلِّ ما يتصلُ بتاريخِ مصرَ منذ القرن التاسع عشر ، وعندما كنتُ طالباً بالمدرسة الابتدائية ساءنى أن أقرأ فى كتابِ التاريخ أن نابليون قد غزا مصرَ وأنه قد وضعَ مدافعه فوق تلال المقطم ، وأمطر القاهرة بوابلٍ من القنابل ..



وفى تلك الأيام ، قدتُ مظاهراتٍ وكنتُ طالباً فى مدرسة النهضة وصرختُ من أعماقِ بطلبِ الاستقلال التام .. وصرخ ورائي كثيرون ، ولكن صراختنا ضاعَ هباءً ... وفى سنة ١٩٣٦ تكررت نفسُ القصة هنا فى القاهرة على كوبرى قصر النيل ... شبابٌ ماتوا ، كل واحد فيهم فدى بلده بروحيه ، لم يكن يفكرُ فى نفسه بل كان يفكرُ فى بلده ، ورأيتُ الشعبَ ينادى نفس النداءات التى كان ينادى بها سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩١٩ والتى كان ينادى بها أيام عرابى .. كنا ننادى بالحرية والاستقلال ، أحاسيس توارثناها جيلاً عن جيل .. مشاعر تعاقبنا عليها فى هذا البلد من أبٍ إلى ابنٍ . وتخرجتُ فى سنة ١٩٣٨ (٢٠ سنة) قى الكلية الحربية بالعباسية برتبة : ملازم ثان ، وعينتُ فى منقباد بالقرب من أسيوط فى الصعيد .

إذن متى كان ذلك اليوم الذى اكتشفتُ فيه بذورَ
الثورةِ فى أعماقِ ؟

إنه بعيدٌ .. وتلك البذور لم تكن فى أعماقِ وحدى ..
ولنما وجدتها فى أعماقِ كثيرين غيرى .. هذه البذور وُلِدَت
فى أعماقنا حين ولدنا ..

ولدنا والانجليز فى مصر .. ولدنا فى عهدِ الاحتلالِ ..

جيلُنا هو الجيل الذى قَتَاسَى الألم والعذاب من رؤية
جنود الاستعمار البريطانى يحكمون أرضه .. لقد كنا لمدةٍ
خمسة وسبعينَ عاماً .. عبيداً للاستعمار البريطانى لم نحس
يومًا بالحرية .. لم نتمتع بالحرية والاستقلالِ .

بل كنا فى الماضى ننظرُ إلى المستقبلِ ونأملُ فى الغدِ ..
وكل واحد فىنا يكلم أخاه ويقول :

متى نتخلص من الاستعمار ؟

لماذا يحرمنا الاستعمار من حريتنا ؟

لماذا يحرمنا من لقمة عيشنا ؟

لماذا لا يكون لنا حقٌ فى الحرية والمساواة ؟

لن ننسى الماضى .. بل سنأخذُ من الماضى عظةً ، وعبرةً

سنهتہم بالتاریخ ..
ولا بد لكل مواطنٍ عربیّ فی كل بلد عربیّ أن یعرفَ
التاریخَ ویعرف الحقیقةَ ..



بداية عهد الظلام

إنى لا أريد أن أدعى لنفسى مقعدَ أستاذ التاريخ ..
فذلك آخرُ ما يصل اليه خيالى .. ولكنى سأحاولُ محاولات
تلميذ مبتدئ فى التاريخ .

منذ سنين طويلة .. من الصَّعب حسابُها .. وبلادُنا تعيشُ
تحت أوضاعٍ محزنة .. أمَّتنا العربية لها مكانتها التاريخية ..
ولكن لم يبق منها إلا حكاياتُ وأساطيرُ ..

كنا دائما نردد ونقولُ : عندنا موقعٌ استراتيجى من أهم
المواقع الاستراتيجية .. عندنا ثروات طائلة .. عندنا قوة
بشرية هائلة .. نعم عندنا .. وكل هذا يجب أن يكون أسبابَ
قوة .. ولكنها لم تكن أسبابَ قوةٍ .. بل كانت أسبابَ ضعفٍ ..
فمنذُ أكثر من ألف سنة .. ووطننا يحكمه الغزاة .

كان الموقفُ الاستراتيجى الذى يمثل القوةَ هو سبب

احتلالنا وكانت الثروات الطائلة التي يجب أن تمثل القوة
هى سبب احتلالنا .. احتلالنا لأجل سرقة هذه الثروات .

مرت بنا ظروف كثيرة .. مرت علينا فى العصور
الوسطى .. وتلك الظروف هى التى وصلت بنا إلى ما نحن
عليه الآن . فلقد تحمل شعبنا وحده معظم أعباء الحروب
الصليبية وخرج بعدها فقيراً .. معدماً ..

كانت الحملات الصليبية فى الأصل استعماراً يهدف
إلى السيطرة والتحكم .. وبرغم ضعف الأمة العربية وتفككها
وانقسامها فإن العرب فى جميع البلاد العربية هبوا ليدافعوا
عن أراضيهم وليواجهوا الخطر والاستعمار الغربى ، الذى
غزا أرضهم باسم الدين ..

لم تكن الحروب الصليبية سوى استعمار بريطانى فرنسى ..
ولم يتخدع المسيحيون العرب بهذا الاسم .. اسم الحملات
الصليبية .. لأنهم كانوا يؤمنون بأرضهم وسماهم .

واستمرت الحرب طوال سنوات عديدة .. غزو مستمر .
وحملات مستمرة بقيادة ملك فرنسا وملك بريطانيا ..
حملات تنادى بأنها تغزو البلاد العربية باسم الدين .. ولكن
كان هدفها : الاستعمار ..

استطاع الصليبيون في أول الأمر ، أن يحتلّوا فلسطين ويستولوا عليها .. واستطاعوا أن يحتلوا بيت المقدس .. وبعد أن استقروا في فلسطين أرادوا أن يتقدموا نحو مصر .. تقدموا من فلسطين لغزو مصر .. واستطاعوا أن يصلوا إلى الشرقية «وبليس» ، ويصلوا أيضاً إلى أبواب القاهرة ، فاتحدت سوريا ومصر ، فقد أرسل السلطان «نور الدين محمود» جيوشه إلى مصر لتعاونها في صدّ الغزاة الصليبيين . واستطاعت جيوش مصر وسوريا التي اتحدت أن تهزم الصليبيين ، وأن تردّهم عن أبواب القاهرة .. وأن تردّهم إلى حدود فلسطين .. وطرّد الغزاة وظلت القوات الصليبية أو القوات الاستعمارية الأوروبية التي تختفي وراء اسم الصليب مُحتلة فلسطين .

وهجم الصليبيون على دمياط بقيادة «لويس» ملك فرنسا ، واحتلوا دمياط وسارت الحملة من دمياط إلى المنصورة .. سار «لويس» من دمياط إلى المنصورة بجيوشه وفرسانه .. فماذا كان شعور هذا الشعب ؟

إن هذا الشعب لم يسلم ولم يستسلم .. بل إن شعب مصر في هذا الوقت اكتشف نفسه ، واكتشف أنه لابد أن يقاتل .. كان كل فرد من أبناء الشعب يؤمن بنفسه وبوطنه ،



فخرج الشعب فى كل مكان ، خرج الفلاحون ما بين دمياط
والمنصورة وحاصروا القوات الفرنسية ، وصدوا الفرنسيين ..
وهزموا الفرنسيين وأسروا ملك فرنسا .. ودفع ملك فرنسا
الفدية ليُجْلُو ويخرج من هذا البلد الذى اعتدى عليه .

وعاد ملكُ فرنسا إلى بلده ليجهّزَ حملةً أخرى ليعتدى مرة أخرى على هذا البلد ، فماذا كانت النتيجة ؟

هَبَّ هذا الشعب الساخِر الذى كان يقابلُ المحنَ بالابتسامة هَبَّ هذا الشعبُ الذى يستشهدُ فى سبيلِ حريته واستقلاله لينظّم القصاصَ وينذر ملكَ فرنسا ويقول له : إننا فى انتظارك ، وإن « دار ابن لقمان » التى أسرتَ فيها فى انتظارك ، وإن القيد الذى قيدت به فى انتظارك .

هذه هى روحُ الشعبِ وهى على مرِّ السنين وعلى مرِّ الأيام لم تضعُف ولم تتبخّر ، ولم تؤثر فيها بأىِّ حالٍ من الأحوال المؤامرات ومحاولاتُ الغزو والسيطرة .

بعد تلك الحملةِ الصليبية على مصر ، بعدَ عشرين سنة من طرد الصليبيين من القاهرة هاجموا سوريا ، فاتحدت مصرُ مع سوريا مرة أخرى لنجدةِ الشعبِ العربى فى سوريا وانتصر صلاحُ الدين فى معركةِ حطين سنة ١١٨٧م .. واستطاع صلاح الدين أن يأسر ريتشارد ملك إنجلترا قائد الحملات الصليبية . وبالرغم من أن الاستعمار الصليبي استمرَّ فى بعض الأماكن أكبرَ من ثمانين سنة .. بالرغم من هذا لم ييأس العرب بل كافحوا وكافحوا حتى طهروا وطنهم من الاحتلال الأجنبي وهبَّ الشعبُ

العربى المسلم والمسيحى جنباً إلى جنب وكتفاً إلى كتف
ليدافعوا عن أرض آبائهم وأجدادهم .. واستطاعت الجيوش
السورية والمصرية أن تُحرّر فلسطين وتحرر القدس وخرج
الصلبيون من فلسطين . وكان النصر فى الغزو الاستعماري
الذى قامت به بريطانيا وفرنسا تحت اسم الصليب .

هذا هو تاريخنا القديم
ونأخذ من التاريخ عبراً أخرى .

هاجمت جيوشُ التتار هذه المنطقة من العالم .. المنطقة
العربية فى وقت الحروب الصليبية .. وكانت جيوش
التتار القادمة من أواسط آسيا مشبعة بالنصر .. انتصرت
فى جميع المعارك التى خاضتها وأخضعت جميع الشعوب
التى أغارت عليها .. ووصلوا إلى بغداد .. وسقطت بغداد
فى أيدي التتار ..

دخل « هولاكو » بغداد .. أخضعها ودمرها وأنهى حكمَ
العباسيين ثم عبّرت جيوشه « الفرات » إلى سوريا لتستمر
فى الفتح والغزو .. ودخلت جيوشُ التتار سوريا .. وكانت
فى هذا الوقت تحاربُ معركة الحرية .

قامت سوريا لتحارب وتصدّ التتار .. وهبّت جيوشُ مصر
لتحارب مع سوريا هذه المعركة ضدّ المعتدين الذين لم ينهزموا

فـى معركة منذ قيامهم . واستطاعت جيوشُ مصرَ وسوريا
أن تهزم التتار في معركة «عين جالوت» سنة ١٢٦٠م وانسحبوا
من الأراضي العربية حتى عبروا نهر «الفرات» .

هزمت الجيوش الصليبية التي كانت تمثل الاستعمار الأوربي
وهزم العربُ جيوشَ التتار التي انتصرت في جميع
معاركها ..

كافح العربُ وذاقوا حلاوة الاستشهاد من أجل إقامة
الحرية التي كانوا يعملون من أجلها ..

هَذَا هو معنى النصر .. وهذا هو درس التاريخ ..



حكم الوحوش

استمرّ وطننا على مرّ الزمن يكافحُ كفاحاً مرّاً
في سبيل تحقيق الحرية والاستقلال والسلام ، فمنذ
٥٠٠ سنة والمماليك يفرضون علينا ألا نتقدم أو نتطور ..
وأن يظلّ وطننا أسير الظلام .. ظلام القرون الوسطى
وخرافاتنا ، وأصبح الطغيانُ والظلمُ والخرابُ طابع الحكم
في مصر على عهدهم .

في تلك الفترة تحوّل وطننا إلى غابةٍ تحكمها وحوشٌ
ضارية .. كان المماليك يعتبرونه غنيمة ، وكان الصراع
الرهيب بينهم يجري على نصيب كلّ منهم في الغنيمة .
وكانت أرواحنا وثرواتنا وأراضينا هي الغنيمة ..

وكافحَ هذا الشعبُ سنينَ طويلة ، لم يُسلّم ولم يستسلم
برغم ما قابلته من صعابٍ . كافحَ استغلال الحكم العثماني

لحساب أمير المؤمنين كما كان السلاطين في آل عثمان يسمون أنفسهم ، كافح هذا الشعب ضد الاستعباد .. وضد الاستبداد .. كافح هذا الشعب ضد الاستبداد الداخلي في أواخر القرن الثاني عشر ، قام الشعب يطالب بحريته وبدستوره وبحقه في الحياة . قام الشعب المصري وطالب الأمراء والمماليك بأن يشترك في حكم الوطن .. أن يشترك في تصريف أموره . ورفض الأمراء ..

ولكن الشعب أجبر الأمراء .. أجبرهم أن يُطيعوا رغبته .. ووقع الأمراء في أواخر القرن الثامن عشر وثيقة بناءً على رغبة الشعب ، وبناءً على طلب الشعب وقالوا في هذه الوثيقة :

« إن الأمراء تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه الناس . »
وانعقد الصلح بشروط منها : أن يتوقف أتباع الأمراء عن مدّ أيديهم إلى أموال الناس .

أجبر الشعب الأمراء على توقيع وإعلان هذه الوثيقة .
واطمأن الشعب وآمن .. ولكن هل نفذت الأمراء الوعد ؟
وهل عملوا بما وقّعوه ؟

أبدًا .. اطمأن الشعب وخدعه الأمراء .. وعادوا

يسيطرون ويتحكمون ويستبدون بالشعب وبحريته فهل
سَلِّم هذا الشعب ؟ هل استسلم ؟

لا .. لم يسَلِّم أبداً .. ولكنه كافح - كفاحاً طويلاً . كافح
ضدَّ سيطرة الوالى التركى وطالبه بأن يشترك فى حكم
نفسه بنفسه .. وبأن يقيمَ له دستوراً ليدير به شئون البلاد .
ولكن الوالى العثمانى قال :

- « لئننى هنا والى بأمرِ السلطان ولا يمكن أن ألبى
رغبة الفلاحين »

فاجتمع الشعبُ وعلماءُ الشعب وقرروا عزل السلطان
وعزل الوالى . وكتب ممثلو الشعب ووقعوا وثيقةً تقول :

« إن للشعوب الحقَّ فى أن يقيموا الولاية وأن يعزلوهم
إذا انحرفوا عن العدل وساروا بالظلم لأنَّ الحكام الظالمين
خارجون عن الشريعة الإسلامية .. »
وقال الوالى :

- « أنا لا يمكن أن أعزلَ بأمرٍ من الفلاحين .. أنا
لا يمكن أن أعزل إلا بأمر من السلطان . »

ولكن الشعبَ عزل الوالى (خورشيد باشا) بإرادته ..
وولَّى الشعبُ بإرادته «محمد على» كحاكم جمهورى سنة

١٨٠٥ .. وطفى « محمد على » واستبد .. ولا لوم على الشعب

فليس « محمد على » أول من خان العهد .

فهل استسلم الشعب ؟ لم يستسلم .. ولم يسلم .. بل

كافحَ ضد السيطرة الداخلية .. وضد الاعتداء الخارجى

لينالَ حقّه ..



بدأت اليقظة ولكن بأزمة جديدة

نعم .. كافع الشعبُ بعزمٍ ضدَّ العدوان الخارجي أيضاً .. فموقعُ مصرَ الجغرافي والاستراتيجي الهام كان دائماً نقطة الضعف بالنسبة لها ، ولهذا الموقع الممتاز تسابقت الدولُ إلى احتلالها .. في عام ١٥١٧ احتلَّها الأتراكُ لأنها كانت تسيطرُ على طريقِ التجارةِ والمواصلاتِ إلى الشرقِ ، ولنفس هذا السبب احتلها نابليون في عام ١٧٩٨ ثم بريطانيا عام ١٨٨٢ .. لذلك كان هدفنا أن نجعل من هذا الضعف قوة .

ولكن كم من دولة غزت مصرَ ثم ذهبت وبقيت مصرُ لقد وقف الشعب المصري دائماً في وجه الغزاة .. وإذا نظرنا للتاريخ نجدُ أن مصرَ لها ماضٍ مجيدٌ في المقاومة ، ونجد أن جماهيرَ الشعب قاومُوا وصدُّوا الفرنسيين سنة ١٢٥٠م .. كما قاسى منهم نابليون الأمرين في سنة ١٧٩٨ .

وكان « نابليون » قد هزم أوروبا كلها .. هزم كل دولة من دول أوروبا . وحينما أتى بحملة إلى مصر لإخضاعها وتقدم بأساطيله وقواته ، واستطاعت الحملة أن تصل إلى القاهرة ماذا كانت النتيجة ؟

استطاع نابليون في هذه الفترة أن يقاتل ، ولكنه وجد أمامه شعباً يقاتل ويضحى .. ضرب الأزهر بالمدافع .. ضرب البلد بالمدافع وحرقه ؛ ولكن كانت التنظيمات الشعبية تهاجم الفرنسيين باستمرار .. القاهرة لم تستسلم .. والاسكندرية لم تستسلم ..

استطاع نابليون أن يخضع بعض المدن أو بعض القرى في بعض الأوقات ولكنه لم يستطع أبداً أن يخضع الأمة كلها .. وعندما تقدم من القاهرة إلى الصعيد ، ماذا كانت النتيجة ؟

لقد هزم أكبر قواد نابليون في المنيا وفي أسيوط وفي قنا .. وانسحب جيش نابليون من الصعيد بدون أن يخضع بلدة واحدة من بلاد الصعيد ، ورغم أنه لم تكن لدينا أساطيل أو مدافع .

ووجدت الحملة الفرنسية أن الأشرف لها أن تنسحب ، ووجد نابليون أن من الخير له فعلاً أن يعود إلى بلاده

برجاله وبجيشه .. لم يستطع نابليون أن يبقى في هذه البلاد
كمستعمر ومحتل ، ولم يستطع نابليون أن يهزم مصر ،
ولكن هزيمته قوة الإرادة .. واستطاع هذا الشعب
أن يقهر نابليون الذى دوّخ أوروبا ، واستطاع الشعب
أن يسترد حريته .. وكان هذا نتيجة تصميم الشعب .

وبعد الحملة الفرنسية بدأ اتصالنا بأوروبا والعالم كله
من جديد بعد أن كنّا قد انقطعتنا عن العالم .
وبدأت اليقظة الحديثة ، وبدأت بأزمة جديدة .
وتوالى ضربات الاستعمار ..



جاءت حملة « فريزر » إلى مصر في سنة ١٨٠٧ ،
وحاول الإنجليز في هذه السنة أن يستولوا على مصر عن
طريق الاسكندرية .. وجاء الجيش الإنجليزي ونزل في
« أبو قير » وتحرك إلى رشيد حتى يتحاشى الاسكندرية
بعد أن حرق الأسطول بيوت ومنازل الاسكندرية .

ووصلوا إلى رشيد ، وكانت رشيد في ذلك الوقت
ليس بها من السلاح ما يتسلح به جنود الامبراطورية
البريطانية .. أما الحكام ،حكام مصر في هذا الوقت فكانوا
يختلفون على السلطة ويختلفون على من يحتكر وينهب



أحمد عرابي
بطل كافع ضد الاستعمار

خيراتِ البلد ويأخذها لنفسه ولأولاده من بعده ، بينما
رشيد تقاتل الإنجليز ..

وكان هذا الشعب في رشيد بدون أى قوةٍ مسلحةٍ ،
لكن هل استكان الشعبُ الحرُّ الذى أراد أن يحقق الحريةَ
والاستقلال مهما كان الثمنُ ومهما كانت الدماءُ التى يبذلها
في سبيلِ ذلك ؟

لا .. بل قامَ شعبُ رشيد ؛ رجاله ونساؤه وشيوخه
وشبابه .. قَامُوا ليدافعوا من أجل حريتهم وكرامتهم .. قام
الشعبُ ولم ينتظرُ من حكامه أىَّ معونةٍ أو مساعدةٍ ..
قامَ ليدافعَ عن حقِّه في الحرية وحقِّه في الاستقلال ويقَاتِلَ
جنودَ الإمبراطورية البريطانية التى انتصرت في هذا الوقت
على الدولِ الكبرى وارتفعت أعلامها في جميع أرجاءِ
العالم .



كان الشعبُ الأعزلُ من السلاح يقَاتِلُ بقوة وإيمانٍ
بحقه في الحرية والحياة ضدَّ الغزاة الذين أرادوا أن
يسيطروا علينا ويستعبدونا فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجةُ أن الإنجليزَ الذين تحاشوا الاسكندرية ،
تصدَّى لهم أهل رشيد وهزموهم واستولوا على السلاح ..

انتصر شعبُ رشيد وهُزمت الامبراطورية البريطانية ..
كانت النتيجةُ بعدَ هزيمة جيوش « بريطانيا العظمى »
أن أسرت رشيد نصفَ قواتِ بريطانيا وقتلت نصفَ القواتِ ،
ووقع « الجنرال فريزر » قائدُ الحملة البريطانية شروطَ
التسليم في رشيد وعادوا من رشيد منهزمين .
وهكذا فر المستعمرُ المسلَّحُ أمامَ الشعبِ الحرِّ الأعزلِ
بعاً أن كانت الإمبراطورية البريطانية في هذا الوقتِ
تعتقدُ أن مصرَ سهلةُ المنالِ ، وتعتقد أنها تسير في نزهةٍ
قصيرةٍ حتى تحتلَ مصرَ وتسيطرَ على مصرَ ، وحتى تستعبدَ
شعبَ مصرَ .



وانهزمت الامبراطورية البريطانية مرةً أخرى أمامَ
الشعبِ الذي اكتشفَ نفسه واكتشفَ إيمانه والذي صممَ
على حقِّه في الحرية والحياةِ ، لم ترهبه الأساطيل ولم ترهبه
الإمبراطورية البريطانية .

ولو عدتم لتاريخ مصر لرأيتُم الاستعمارَ وأسلحته تَتَحطَّمُ
أمامَ أبناءِ رشيد ، لا لأنه التقى بشعبٍ آمن بوطنه وبنفسه
فقط ، بل لأنه لم يجد خائناً في القومِ .

وكلنا كُنَّا نهملُ تاريخنا ونهملُ الصفحاتِ الرائعةَ
التي تمثلُ بطولَةَ شعبِنَا..لم نكن نحتفل بمعركةِ رشيد وبذكرى
انتصارنا في رشيد لأن الاستعمارَ وأعوانه كانوا دائماً
يحاولون أن يجعلونا نتلهَّى عن الاحتفال بانتصاراتنا
باحفالاتٍ أخرى وأمورٍ زائفة .

الخيانة ضربت الثورة من الخلف

إننا قد أخذنا الدروسَ الكبار في سني الاستعمار وفي سني السيطرة والاستبداد .. لكن ماذا حدث لنا بعد عهد المماليك ؟ تحمّل الشعب أعباءَ غزواتِ «محمد علي» لتوسيع امبراطوريته لحساب آل عثمان وآل محمد علي .. ثم ورثت أسرةُ محمد علي كلّ ظروف المماليك .. استغلال المماليك لمصرَ على اختلافِ دولهم واستغلال الملوكِ والأمراءِ الدخلاءِ الذين لم تكن بلادنا تعني بالنسبة لهم إلا كونها ملكاً خاصاً ينفقون خيراته كما يحلو لهم .

فاستمرَّ الشعبُ في نضاله وكفاحه .. فالشعبُ لم يستكن بأيِّ حالٍ من الأحوال ، ولكنه كان يشقُّ طريقه ليغيّرَ حياته ومستقبله وليصنعَ حياته من جديد ..

وفى أواخر القرن التاسع عشر بدأ الشعبُ يستعدُّ للعملِ
الثورى ، وقام عرابى فى سنة ١٨٨١ ينادى بما ينادى
به الشعب وطالب الخديو أن يحققَ للشعب حريته وطالبَ
بحقِّ الشعب فى أن يقرَّ الضرائب والقوانين وطالبَ أيضاً
بالدستور.. ولكن الخديو رفض ، واستعان بالقوة الأجنبيةِ
فكان الاحتلال سنة ١٨٨٢ .

فى هذه السنة هاجمَ الانجليزُ الاسكندرية فى ١١ يوليه
١٨٨٢ وضربوها بالمدفعية وأحرقوها ثم نزلوا فيها وتقدموا
إلى كفر الدوار .. وقام الجيشُ والشعبُ المصرى ليقا تلَ
الانجليزَ فى الشوارع ، ووقف الانجليزُ أمامَ كفر الدوار
ثلاثة أسابيع عاجزين عن كسر الخط المصرى .. وجدوا
أمامهم الأجسامَ والأرواحَ تقف سداً منيعاً ضا محاولتهم
السيطرة وضد محاولة الاحتلال .. ولم يستطع الانجليزُ بأى
حال من الأحوال حينما غزوا مصرَ أن يسيطروا عليها عن
طريق الإسكندرية ، بالعكس ، تقهقروا وانسحبوا أمامَ
الجيش المصرى بقيادة عرابى واضطروا أن يعودوا إلى
الإسكندرية ويركبوا مراكبهم ، ثم تدخلتُ الخيانة ..

عادوا ليدخلوا بلدنا بالخديعة والخيانة .. فقد عادوا
ليدخلوا بلدنا عن طريق قنال السويس .. أتوا من الباب

الخلفى .. من القنال .. وكانت هناك اتفاقية تمنع استخدام قناة السويس للأغراض العسكرية ، الاتفاقية تقول إن قناة السويس محترمة دولياً لا تستخدم في العدوان . ، ولكن الحملة البريطانية استخدمت « دلسبس » الفرنسى حتى يسمح لها بأن تمرّ في قناة السويس حتى تصل إلى الإسماعيلية بالخليعة والغدر وتحت اسم هذه الاتفاقية تسرب الأسطول البريطانى في قناة السويس ودخلوا سرّاً إلى أن نزلوا في الإسماعيلية وتقدموا في الإسماعيلية والسويس إلى القاهرة . وتدخل « دلسبس » ، وتدخل « الخديو » الذى كان قد طلب منهم أن يحموا عرشه وقالوا إن الحملة أتت لتدعيم عرش الخديو ولحماية عرش الخديو وانقلبت في الحال إلى استعمار وانقلبت إلى احتلال .. واحتلوا البلاد بالخيانة والغدر .. واستولوا على القاهرة واحتلونا ٧٤ سنة .



وإذا ما قلبنا صفحات التاريخ ثانية ، وجدنا أن الاستعمار ينجح ويدخل مصر لا بقوة السلاح ولا بكثرة الجنود لكن بفضل الخونة والمنافقين من أمثال « يوسف خنفس » ورجال الحكم في ذلك الوقت وعلى رأسهم الخائن الأول : « توفيق » ، وإذا كنا قد هُزمنّا ، فإننا لم نهزم في القتال ،

ولا لأننا جُبنًا أو هزبنا . انجلترا لم تحتلّ أرضنا لأننا قصّرنا في قتالهم .. أولأننا لم ندافع عن بلدنا وكرامتنا ولكن كان السببُ الأولُ والأوحدُ في الهزيمة ، هو الخيانة .. كانت الخيانة موجودةً في هذا البلد .. الخيانة ضربت الثورة من الخلف .. الخيانة المتحالفة مع الاستعمار .. ولم تصل « ثورة عراقى » إلى حيثُ كانت تستطيع ..

ولما جاء الاستعمارُ البريطانى بعد أن سحق ثورة 'شعبنا بقيادة « عراقى » لم تحكم البلد صراحةً بضباطِ الانجليز لأن الاستعمارَ في عصرنا الحديث يرى أنه من الأفضل ، حتى يصلَ إلى أهدافه ، أن يختفى وراءَ الستار وأن يديرَ المأساة من خلفِ المسرح ولا يظهرَ عليه .. وقبل أن يحل بأرضنا الاستعمارُ البريطانى كان الاستعمارُ التركى يتحكم فينا لا على أنه استعمارٌ يريدُ أن يسيطرَ ويستغلّ ، وإنما كانت السيطرة والاستغلال تحت ستارِ جلالِ الخلافةِ ومهابةِ أميرِ المؤمنين ..

ثم بدأ الاستعمارُ البريطانى يجرىءُ بالأصنامِ يضع منها فوق رءوسنا ملوكاً وأمراء .. كانوا أذلاءً ضعفاءً أمامه لأنه سيدهم وخالقهم . ومنذ أكثرَ من مائةٍ وخمسين سنة ووطننا تملكه أسرةٌ واحدة .. تملكه وتحكمه وتبعثر ثروته لحسابها

أو لحسابِ الأجنبي الذي اعتمدت عليه دائماً ليسند وجودها..
وتاريخ أسرة « محمد علي » في مصر سلسلة من الخياناتِ
التي ارتكبت في حقّ الشعب .

وكنا في الماضي ننظرُ إلى المستقبلِ ويسأل كلُّ واحدٍ
منا أخاه : متى ينتهي هذا الوضع ؟



غدت بنا بريطانيا

في مطلع القرن العشرين بدأت تظهر في الأفق طلائع الحرية بعد فترة طويلة من سيطرة العثمانيين الذين خدعوا الأمة العربية تحت اسم الدين وتحت اسم الخلافة واسم أمير المؤمنين ..

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى وجد العرب فيها الفرصة لكي يتخلصوا من الحكم العثماني وكنا قد قاسينا من الاستعمار العثماني حوالى ٥٠٠ سنة . فاتفق العرب مع الحلفاء من أجل تخليص بلادهم من الحكم العثماني .

كان العرب في هذا الوقت يعتقدون أنهم إذا حاربوا مع الحلفاء ضد العثمانيين فستصبح بلادهم بلاداً مستقلة .

وكان الحلفاء أيضاً في هذا الوقت يعتقدون أنهم

إذا خلّصوا البلادَ العربيةَ من حكمِ العثمانيين فستكون
غنيمةً كبيرةً لهم .

نسىَ العربُ الذين تحالفوا مع انجلترا وفرنسا لأجل
تخليصِ هذه المنطقة من الحكم العثماني أن انجلترا وفرنسا
هاجمتا هذه الأرض العربيةَ تحت اسم الحملة الصليبية .

ولكن هل نسيتَ بريطانيا وفرنسا ؟

لقد استولت بريطانيا وفرنسا على هذه المنطقة العربيةِ
منذ ٨٠٠ أو ٧٠٠ سنة .. وطُردتا منها .. هل نسيتَ بريطانيا
وفرنسا هذا قبل أن تدخلتا الحرب ضد العثمانيين والأتراك ؟

لم تكن مصادفة أبداً حينما وصلَ القائد الفرنسي «الجنرال
جورو» إلى قبر «صلاح الدين» وقال :

— ها قد عدنا «يا صلاح الدين» .

وفي نفسِ الوقتِ الذي كنا نحارب فيه بجوارِ بريطانيا
وكنا نحاربُ فيه جنباً إلى جنبٍ مع الحلفاء ، في نفسِ
الوقتِ كانت بريطانيا تتآمر مع الصهيونيةِ لتُعطيها قطعةً
عزيزةً من الوطنِ العربيّ هي : فلسطين .

غدرتُ بنا بريطانيا ، فبعد أن ساعدناها في القضاءِ
على الامبراطوريةِ العثمانيةِ من أجل تحريرِ أوطاننا، كان وزيرُ

خارجية بريطانية يعطى لليهود وعد «بلفور» سنة ١٩١٧ لأجل إقامة وطن قومي للصهيونية في فلسطين . لكن ماذا حدث بعد الحرب العالمية الأولى ؟

بعد الحرب أمسك الحلفاء المنتصرون خريطة الدول العربية وقسموها بالقلم الرصاص : سوريا ولبنان لفرنسا .. والأردن وفلسطين ومصر والسودان والعراق لـ إنجلترا .. كل وعود الغرب نقضها ولم ينفذها ..

غدرت بنا بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى.. فبعدما انتصرت بريطانيا تنكّرت لوعودها وبدلاً من أن تعطى البلاد العربية استقلالها قُسمت بينها وبين فرنسا .. وكانت النتيجة أن المنطقة العربية لم تحصل على استقلالها بل أصبحت مستعمرات ، بعضها تحت الاستعمار الفرنسي وبعضها الآخر تحت الاستعمار البريطاني ..

ولم يكن هذا هو الغدر الوحيد الذي اتبعته بريطانيا .. فقد أعلنوا في الحرب العالمية الأولى وعد بلفور وحققوا هذا الوعد في سنة ١٩٤٨ وطردوا الشعب العربي من فلسطين وأقاموا دولة إسرائيل الصهيونية في إسرائيل .

كان هذا هو الدرس الذي تلقيناه بعد الحرب العالمية الأولى .

الاستعمار فرق الإخ عن أخيه

ظلت روحُ هذا الشعبِ قويةً لم تضعف .. استطاعَ هذا الشعبُ أن يحافظَ على كرامته ومعنوياته مئاتِ السنين .. لقد مرّت علينا أزمنة طويلةٌ ونحن نجاهدُ ونكافحُ وقام في هذا الشعبُ رجالٌ ، ماتوا واستشهدوا ..

كافحَ الشعبُ ؛ وسجنَ من سجن .. وعذب من عذب .. واستشهد من أبنائه من استشهد .. وقتل من قتل .. ومات من مات من أبناء الشعب المكافحين الأحرار .. آباؤنا لم ييخلوا بالشهداء ..

ولكن الاستعمارَ الذي تأمر مع الصهيونية العالمية من قبلُ ، كان يُسكت هذه الحركات ويحارب هذه الآمال ويقتل الأحرارَ ، ويشردُ الأطفال .. ويعذبُ أبناءَ



الأمة العربية ..

وثار الشعب يطالب بحريته ..

وفي عام ١٩١٩ قامت ثورة في مصر تطالب بالدستور
وكانت تنادى « بالاستقلال التام أو الموت الزؤام . »

واستطاع الشعب بمهارة أن يجبر الملك والاستعمار أن
يحنوا الرءوس .. وانتصرت لإرادة الشعب في سنة ١٩٢٣
بإعلان دستور ١٩٢٣ . وكان هذا الدستور ثمرة كفاح
الشعب واستشهاد أبناء مصر .. لم يكن هبة أو منحة منهم .
فاطمأن الشعب .. وآمن الشعب .

وأحب أن أقول إن الدستور كان يُعتبر في الماضي خاتمة
الكفاح .. فماذا كانت النتيجة ؟ هل طبق الدستور ؟
أبداً .. لقد كان خدعة .

كان وسيلة لكي يبقى المستعمر في أرض هذا الوطن .. واتبع
الاستعمار سياسته التقليدية المعروفة : فرق .. تسد .. فالاستعمار
يهدف دائماً إلى التفريق بين الأخ وأخيه .. ولقد فرق فعلاً ..
وساد فعلاً .. بعد أن قسّم البلاد أحزاباً .. كل حزب يضرب
الحزب الآخر .. وحاول بالوقية وتقسيم أبناء الوطن
الواحد ، كل يتبع آراء تختلف عن الآخر .. حتى ينفذ بينهم
ويسيطر عليهم ..

كنا نختلفُ على لا شيء .. نختلفُ على التافه من
الأمور .. كنا ننقسمُ على أنفسنا ونتركُ الاحتلالَ يخرَّبُ
بلادنا ونتركُ السيطرةَ للسفير البريطاني ..

هل تحققت الحرية التي ماتَ من أجلها أبناءُ هذا
الوطن؟ أبدأ.. أصبحت الحريةُ هي حرية التحكمِ والسيطرة
والاستبدادِ والاستغلالِ. الخلافات أضاعت الهدف الحقيقي
وهو الاستقلال التَّام .. كانت الخلافات سبباً في نكسة ثورة
١٩١٩ .. ومكَّنت الاحتلالَ من البقاء وظلت قواته تحتل
أرضَ البلاد وتفرضُ نفوذَها وسلطتها على كل كبيرةٍ
وصغيرةٍ . وماذا حدث ؟

بدأ أعوان الاستعمار يتآمرون مع الاستعمارِ على هذا
الشعب . بدعوا يعطون الشعب وعوداً وكلاماً جميلاً ..
ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ نتيجة الكلامِ والوعود ؟
كانت النتيجةُ استبداداً .. وتحكماً واستغلالاً للفرص ،
وسيطرةً فهل خُدع المواطنون ؟

اطمأنوا ولكنهم لم ينخدعوا .. ولم يسلموا ..
ولم تنجح ثورة ١٩١٩ وضاعت هدرأً دماءُ المصريين
الذين قُتلوا في سبيلها برصاصِ الإنجليز ..
وقاسى الشعب .. قاست الأغلبيةُ العظمى .. استمرارَ
الشعبُ يكافحُ مرةً أخرى .

أبشع أنواع الاستعمار

حاول الاستعمار دائماً أن يفرّق بين الأخ وأخيه ..
وحاول بكل وسيلة أن يوقع بين البلاد العربية وحاول
دائماً تفريق البلد العربي عن البلد العربي .. يفرّق بين البلاد
العربية حتى يتحكم فيها .

الاستعمار يعمل دائماً على ألا نعمل ، لكي يشاركنا
في ثرواتنا وفي دخلنا ولكيلا يعطينا فرصة حتى نصنّع
بلدنا ، ولا نستخدم ثرواتنا الطبيعية : البترول . واليورانيوم
والمياه الجوفية ، ولا نستغل أراضيها .. فالاستعمار لا يريد
لنا أن نبقى ، ولا أن نرفع مستوى المعيشة حتى نظل نعيش
تحت نير الفقر ، وحتى تكون هذه البلاد مزرعة تعطيه
ما يريد باستمرار .. مزرعة يستغلها لرفع مستوى أبنائه ..

من أهداف الاستعمار أن يسيطر على اقتصادنا ومواردنا

وأرزاقنا الطبيعية .. من أهدافه أن يسيطرَ على الثروات الطبيعية الموجودة في هذه المنطقة .. ويستغلّها ويحققَ المكاسب لنفسه ..

والاستعمارُ يريد أن يضعنّا ضمنَ منطقةٍ نفوذِهِ وتحت السيطرة .. فخلّق إسرائيل .. على حساب شعبِ فلسطين .. هذا الغزو الصهيوني كان يجدُ في الاستعمارِ وفي أعوان الاستعمار السّند الأكيد ..

صمّم الاستعمار .. صمّم الطغاةُ الذين وقفنا وحاربنا معهم في الحرب العالمية الأولى .. وحاربنا معهم أيضاً في الحرب العالمية الثانية .. صمّموا على تثبيتِ الصهيونيةِ العالمية .. وإقامةِ الوطن القومي الصهيوني بين أرجاءِ هذه المنطقة .. وجاءت هذه الفرصةُ بعد الحربِ العالمية الثانية وكانت الدولُ العربية في ذلك الوقت تخضع كلها للسيطرةِ الأجنبية .

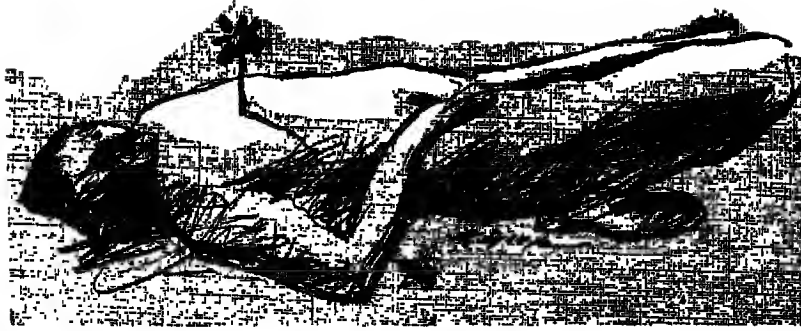
وبعد الحربِ .. كل ما حدث هو تحريرُ سوريا ولبنان ، ولم يكن الغرض مساعدة سوريا ولبنان . ولكن أراد الغرب إضعافَ فرنسا واعتبارها دولة من الدرجة الثانية أو الدرجة الثالثة ..

وهكذا .. بعد أن تحرّرت لبنان وسوريا .. جاء ضياعُ فلسطين وإعطائها لإسرائيل في سنة ١٩٤٨ .. وكانت النتيجةُ

أننا كنا الغنيمة في الحربين. كانت النتيجةُ أن سلب جزءٌ عزيز من الوطن العربي وأعطى لإسرائيل لإقامة الوطن القومي اليهودي .. ولولا أن فلسطين وقعت تحت الانتداب البريطاني لما استطاعت الصهيونية أن تجد العون على تحقيق فكرة الوطن القومي في فلسطين .. إسرائيل نفسها لم تكن إلا أثراً من آثار الاستعمار .

إن الكراهية شديدةٌ للغرب بعد فلسطين.. ونكبة فلسطين.. شعب فلسطين طُرد من وطنه .. وشرّد ليحتل مكانه شعبٌ دخيلٌ فرض عليه فرضاً .. نزل بشعب فلسطين ذلك الظلم.. وهذا الموضوع بالذات يثير في نفسي أعمق الأسى فلستُ أعرف في تاريخ الشعوب حدثاً مثل هذا .. قامت حروب بين الدول في العالم كله .. ولكنها لم تنته مثلما انتهت هذه الحرب ، بإخراج شعب فلسطين من أرضه ، الشعب الذي طرد من بلاده . وإقامة شعب آخر مكانه.. هذا أبشع أنواع السيطرة .. وأبشع أنواع الاستعمار .

وبنظرة بسيطة إلى تاريخنا .. لا بد أن نتذكر دائماً أن هناك حرباً مستمرة بين الدول الغربية وبين هذه المنطقة منذ حوالي ٧٠٠ سنة .. ولا بد أن نتذكر أنه في الأوقات التي كنا نتحد فيها كنا نستطيع أن نهزم أعنى وأكبر الجيوش..



ولا بدّ أن نتذكر أن الاستعمار حاول أن يضعفَ عروبتنا
وأن يفرّق بيننا فخلقَ لإسرائيل وزرعها في قلبِ الأمة العربية..
إسرائيلُ سلاحٌ من أسلحة الاستعمار للتفريقِ بين العرب..
خلقتها الاستعمار وشجّعها حتى تعلن أن أرضها المقدسة تمتدُّ
من النيل إلى الفرات.. خلقها ليقضى على قوميتنا كما قضى
على فلسطين..

وشعب فلسطين حرّم من حقوقه لأنّ الدول الكبرى أرادت
أن يُحرّم من حقوقه .. ولأنّ الاستعمار تأمر مع إسرائيل
لتكون وسيلةً للعدوان على الدول العربية ولتحققَ خططَ
الاستعمار في السودان .. إسرائيلُ هذه القاعدة العدوانية
الاستعمارية العنصرية لتهديد العالم العربي .

وهكذا صارت إسرائيل خيـنجرأ مغموذاً في جسدنا ..
هذا هو تاريخنا القديم .

العاصمة العظيمة تحترق

لكن كيف كانت أحوال بلادنا قبل ٢٣ يولييه ١٩٥٢ .
اتفق الاستعمارُ البريطاني والاسرةُ المالكة والشركات
الأجنبيةُ المستغلة .. اتفقوا جميعاً على استغلالِ الشعبِ ..
وكان الفاضلُ في البلاد من فئات ما تركه الاستعمار لا يتركُ
للشعب وإنما يتركُ معظمه للذين يخدمون الاستعمار من
غير أبناءِ البلاد أو الذين خانوا شعوبهم من أبناءِ البلاد .
وبعدَ الحربِ العالمية خرجتِ الشعوبُ تقاتلُ من أجل
حرّيتها ومن أجل استقلالها ، وكنا هنا نقول مفاوضات ..
مفاوضات صدق - يفرن .. تصريحات وبيانات وكلام ،
إن دلّ على شيء ، فعلى أن الإنجليز سيقبّلون في بلادنا
إلى الأبد .

وكانت القواتُ البريطانية تربصُ بنا ، وترفضُ أن

تعطينا الاستقلالَ وكانت أمانينا هي الاستقلال .

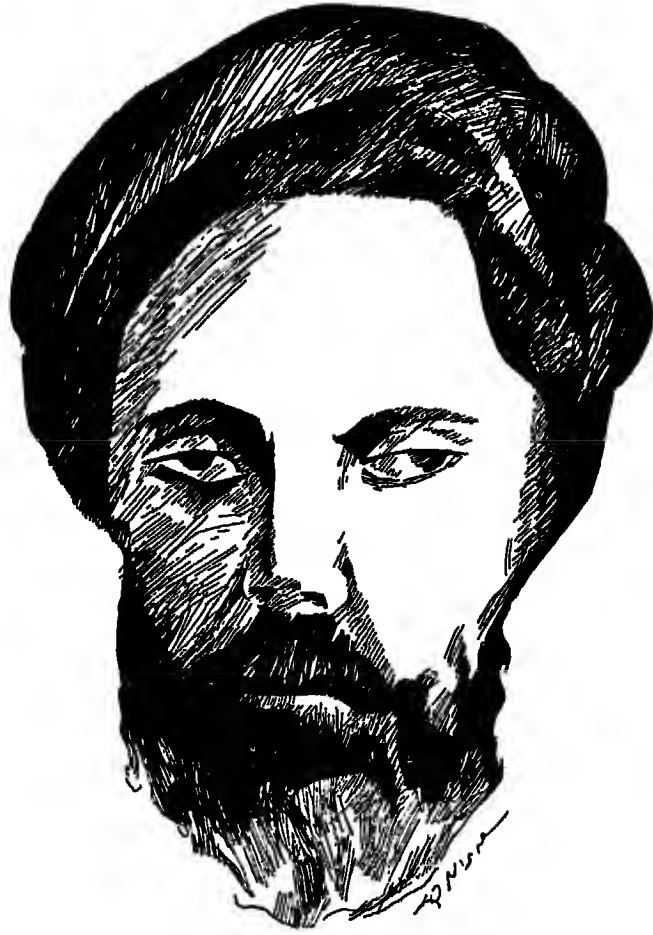
وكانت قواتُ الاحتلال ، ٨٠ ألف عسكري إنجليزي يسكنون ضفاف قناة السويس متمركزين في أقوى قواعدهم العسكرية في الشرق الأوسط . وكانوا يفرضون على محافظات القناة حكمهم السافر لدرجة أنه لا يدخل فردٌ رسميٌ أو غيرٌ رسمي إلى المنطقة بغير تفتيش يقوم به الجنود الإنجليز ..

وكان الاحتلال البريطاني ينظر إلى القاهرة باستعلاء.. يُصمِّمُ ويسدُّ أذنيه عن نداءات الحرية المنبعثة في الشوارع ويغمز بطرف عينه للقصور الحاكمة .

أما السفيرُ الإنجليزي فهو الحاكمُ بأمره ، وبإشارته تسقط الوزاراتُ أو تتألف الوزارات .. ولا أنسى أنه في فبراير ١٩٥٢ كان هناك ميعاد بين «على ماهر» وبين السفير البريطاني .. ورفض هذا السفير مقابلته بحجة أنه مصابٌ بالبرد .. واضطرَّ «على ماهر» أمام هذا التصرف أن يقدم استقالته في اليوم التالي .

وكان على رأس الحكم في بلدنا «الملك فاروق» ، وكان على القمة يحكم من فوق قوة الاحتلال .. كان أول تاجر ، أول سمسار ، أول موردٍ لصفقات السلاح الفاسد للجيش وأول صديقٍ لأعداء الشعب .

وفى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ حدثتُ مأساةُ حريقِ القاهرة ،
وكان منظرُ القاهرة ، العاصمة العظيمة وهى تحترق ، من
أبشع المناظر فى كفاحها ، فقد دمرّت النار ٤٠٠ مبنى أنزلت
بها خسائرَ فتّادحة ، وتركت ١٢٠٠٠ شخص بلا مأوى وبلغت
الخسائر ٢٣ مليون جنيه . ولم تتخذ السلطاتُ أىَّ إجراء ..
« النحاس » رئيس الوزراء لزم داره فى جاردن سیتی ..
وظل « فاروق » فى قصرِ عابدين لا يحرك ساكناً .. كان
مشغولاً عن كل شىءٍ بمغامراته وصفقاته وولّى عهده
الذى حمّله بين يديه وأُطلّ من الشرفّة على بعض ضباط الجيش
فى ظروفِ حريقِ القاهرة ليقول لهم : إنه يهديه إلى الوطن ..
وكان يقصد طبعاً أنه يهدى الوطنَ كلّهُ إليه . لم تتخذ
السلطاتُ أىَّ إجراءٍ ولم تصدرُ الأوامرُ للجيش بالنزولِ
إلا فى عصر ذلك اليوم .. نزل الجيش ليضربَ الشعبَ وما كنا
نستطيع أن نقولَ لا .. العسكرى سيضرب والضابط سيضرب
والذى يقولُ لا ، سيُحاكَم . من ينقذه ؟ ونزلتُ ليلاً فى
عربتى ومررتُ على وحدات الجيش فى القاهرة وكانت النارُ
مندلعةً وكان التجول ممنوعاً وكان عندنا اجتماعٌ لما سُمى
بعد ذلك مجلس قيادة الثورة . وبعد الاجتماع نزلنا لتتصل
بأكبر عدد من الضباط لنقولَ لهم على قدر الإمكان
لا تضربوا الشعب ، ولكن من كان يضمنُ هذا ؟



عبد الله ندیم
بطل کافح ضد الاستعمار

ولم يبدُ على الملكِ ما يدلُّ على استعدادٍ لإيجادِ حلٍّ
للموقف، وهكذا وجدنا أنفسنا في وضعٍ المعارضةِ الصريحة له.
لو نذكر هذه الأيام ، كانت هناك كلماتٌ عزيزةٌ ،
الشعوب تضحى من أجلها بدمائها ، كالحرية والديمقراطية ..
هذه الشعاراتُ كانت غاليةً وعزيزةً، وكان الشعبُ يكافحُ
من أجلها.. والشباب ماتوا من أجلها.. كلُّ واحدٍ فيهم قدى
بلده بروحه .. كلُّ واحدٍ منهم كان يدبر لثورة ٢٣ يولييه .



كافحنا .. قاتلنا .. و.. شرنا

نعم.. إن لنا تجاربَ طويلةً مع الاستعمار.. قاسينا منه .. نحن دولةٌ عاشت تحت نِيرِ الاستعمارِ البريطاني ٧٤ سنة .. قاسينا منه .. وقبل الاحتلال البريطاني .. قاسينا من الاحتلال التركي .. قاسينا من الاستعمارِ بكل أشكاله .

أجدادُنا حاربوا في جميع المعارك .. وتحملوا فيها الآلام .. أجدادُنا وآباؤنا لم ييخلوا بالشهداء .. ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوا النصر .. بل مهّدوا لنا لنتصر ..

كافحنا .. قاتلنا .. جاهدنا .. وثرنا .. وقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. قامت ثورة الشعب في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. قامت الثورة لتعبّر عن أهدافِ الشعبِ .. وتمثّل آمالِ الشعبِ ..

لقد بدأتُ مع الطليعة في ٢٣ يوليو وليس أمامي سوى هدف واحد: يتمثل في مصلحة مصر.. لم أفكر أبداً في مصريي.. ولكنني كنتُ أفكر أن أعمل بما يمليه عليّ ضميري .

خرجت الطليعةُ لتنتصرَ أو لتضحى ولتضربَ المثلَ حتى تشعر الأجيالُ القادمةُ أن في مصرَ رجالاً.. وأن في مصرَ تضحيةً وعزيمةً .. حتى لا يقولَ التاريخُ إن مصرَ كانت تئن تحت نير الاستعمار ولم تقاوم مقاومةً حقيقيةً ..

خرجنا نكافح لآخر قطرةٍ في دمائنا حتى يحسَّ الجيل الجديد بحلاوةِ الاستقلال.. نكافح حتى نحققَ للأجيال التي تأتي من بعدنا عالماً أفضلَ بدلاً من العالم الذي نشأنا فيه.. والذي قاسينا منه والذي اشتكيناه مرَّ الشكوى من مآسيه .



قامت الثورةُ وهي تشعر بمسئوليتها .. أعلنت الثورةُ أنها تهدف إلى القضاءِ على الاستعمار الذي قاسينا منه زمناً طويلاً.. والقضاءِ أيضاً على أعوانِ الاستعمار الذين تحكموا فينا وتآمروا علينا من أجلِ استغلالنا واستعبادنا ،ومن أجلِ تحقيقِ مصلحتهم الذاتية على حسابِ الشعب.

وعندما قامت الثورةُ كان المبدأ الأول هو : القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين ..



كان أول هم* لنا أن نتخلص من الاحتلال البريطاني ..
من الاستعمار البريطاني .. كان في مصرَ حين قامت الثورة ٨٠
ألف جندي بريطاني في منطقة القنال بناء على اتفاق بين مصرَ
وبريطانيا عام ١٩٣٦ (١)

كان هناك احتلال* .. وكنا طبعاً منطقة النفوذ الانجليزي..
وكانت سياستنا تقرها وزارة الخارجية في بريطانيا ..
كنا في الماضي نسمع الكلام .. ونسيرُ بجانب الحائط .
ولكننا أمة* ضد السيطرة المعتدية في الخارج وضد السيطرة

(١) كانت المادة العاشرة في هذا الاتفاق تقول : انه يجب أن يكون لبريطانيا عشرة
آلاف جندي في مصر . وفي الواقع كان لبريطانيا ثمانون ألف جندي (حديث الرئيس مع
الصحفيين الأمريكيين ١٩٦٠/٣/٢١)

المستغلة في الداخل .. وكان علينا أن نقررَ أى طريق نسلك ،
طريق الثُل والعبودية أم طريق العزة والحرية ..

ومصر التي ثارت في ٢٣ يولييه ، كان هدفها الاستقلال
الحقيقى .. أن نعيشَ أحراراً في هذه المنطقة .. أن نعيشَ
في سلامٍ بعيداً عن المؤامرات الأجنبية ، وأن تحترمَ الدول
الأجنبية استقلالَ البلاد العربية وأن تمتنعَ عن التَّدخل في شئون
تلك المنطقة .. منطقة الشرق الأوسط .

كنا نحرص على الحرية الحقيقية . نحرص على السياسة
المستقلة .. ونحرصُ على أن تكونَ لمصرَ سياسةٌ مستقلة قوية
حتى نخلقَ في مصرَ شخصيةً جديدة .. مستقلة .. تخلصت فعلاً
من الاستعمار .. وتخلصت فعلاً من الاحتلال .. ومن السيطرةِ
الأجنبية بكل معانيها ..



كنا في مصر نريد استقلالاً حقيقياً .. لا استقلالاً مزيفاً ..
فلا يمكن أن نعيشَ في بلدٍ ونشعر فيه بالحرية أو الطمأنينة
والأمن ، إذا كانت البنادقُ موجهةً إلى عقولنا وحدودنا
وقلوبنا ..

وبدأت المعركةُ في سبيلِ الاستقلال .. وكان كفاحى وكفاح

زملائي طويلاً وشاقاً لتحطيم السيطرة الأجنبية على مصر..
ولتحقيق الاستقلال الصادق لبلادنا ..

كانت بلادنا تحتاج إلى هذا الاستقلال احتياجها إلى
أنفاس الحياة .. وقد كان مجرد الظل لسيطرة أجنبية أمراً
لا أستطيع أن أقبله ..

وبدأت المعركة في سبيل الاستقلال .. وهذه المعركة
ليست بالمعركة الهينة أو السهلة .. كنا نعرف أن لها نتائج تؤثر
على الوطن العربي وعلى مستقبلنا .. وعلى مستقبل أبنائنا ..
وبدأنا مفاوضات من أجل جلاء القوات .. فالإنجليز
كانوا في مصر حتى سنة ١٩٥٤ ..



وفي الوقت الذي كنا نتفاوض فيه .. كان هناك إخوة
لكيم في القنال يحاربون ويقاتلون ليجعلوا من القنال ميدان
قتال للمستعمرين ، وليقنعوا الإنجليز بأنهم لن يستطيعوا
أن يدافعوا عن وجودهم وعن كياناتهم في هذه المنطقة ..
وبالأيدى القوية والدم الزكى الذى سال في منطقة القناة
وقعنا اتفاقية الجلاء وانتصرنا في حرب الاستقلال (١)

(١) في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ تقرر جلاء القوات البريطانية جلاء تاماً عن الأراضي المصرية
خلال فترة عشرين شهراً - وتقرر انتهاء معاهدة ١٩٣٦ التي سميت معاهدة الصداقة والتحالف
بين مصر وبريطانيا .

وقعنا اتفاقية الجلاء .. لكن .. هل انتهت المعركة ؟

لا .. إن المعركة لم تنته .. لأن الاستعمار لم يحقق أهدافه ..
إننا نريد السلام .. ولكننا نكافح قُوى الظلم .. والاستعمار ..
وتجار الحروب ...

وبمجرد أن وقعنا اتفاقية الجلاء .. وبدأ الاستعمارُ البريطاني
وجنودُ الاحتلال في الخروج ، بدأ العدوان علينا من إسرائيل ..
اعتدت إسرائيل على غزة .. دبّرت هذا العدوان بعد
حصولها على كميات كبيرة من الأسلحة من فرنسا ..

وارتكبت بعد ذلك سلسلة من الاعتداءات .. اعتدت
على « خان يونس » ثم على «الصبيحة» ثم العدوان على «القسيمة»
.. ورجال الأمم المتحدة وصفوا ذلك الاعتداء بأنه وحشي
وبأنه كان مدبراً ..

إننا كنا دائماً نشعر بالتهديد .. ونشعرُ أيضاً بالعدوان ..
إن التهديد كان قائماً منذ عام ١٩٤٨ .. وقبل ذلك .. وبعد
ذلك .. كنا نشعرُ به حينما قامت إسرائيل بعدوانها الغادر
على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ .. وكنا نشعرُ به بعد هذا التاريخ ..
فإسرائيل كانت تتججّع بقوتها وبالإمدادات وبالأسلحة
التي كانت تحصلُ عليها ..

قصة السلاح.. والميزان الذى مال

كنا فى ذلك الوقت فى أشد الحاجة إلى أسلحة .. وقد عرف الغرب كله أننا محتاجون حقاً إلى أسلحة .. المسألة بالنسبة لنا كانت مسألة حياة أو موت .. وإني أحب أن أحكى لكم فى هذه المناسبة قصة تسليح الجيش ..

منذ قامت الثورة ونحن نطالب بالسلاح .. ونحن نعد بالسلاح .. التجأنا إلى كل الدول .. وإلى كل ميدان من أجل تسليح الجيش ..

طلبنا السلاح .. وكنت أؤكد لهم أن الأسلحة لن تستخدم فى العدوان .. بل من أجل الدفاع .. وأنتا ليست لدينا أية نيات عدوانية .. إننا نريد أن يكون لنا جيش قوى ، لا للعدوان .. ولكن لحماية السلام .

لجأنا إلى إنجلترا .. وفرنسا وأمريكا .. طلبنا منهم السلاح ..

فماذا أخذنا ؟ ماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة قصة طويلة .. قصة مرة .. استعمل
الاستعمار معنا أساليب متعددة ، منها احتكار السلاح ..
لكن ما معنى احتكار السلاح ؟

لاشك أنكم تعلمون . أن الأسلحة الثقيلة تتحكم فيها
الدول الكبرى .. وهذه الدول لن ترضى أن تمول الجيش
المصرى بالأسلحة إلا بشروط ..

وأحكي لكم القصة من بدايتها .. أحكى لكم قصة أمريكا
كانت « واشنطن » أول عاصمة لجأنا إليها بعد قيام الثورة
بثلاثة أشهر ..



وفي أكتوبر سنة ١٩٥٢ دارت محادثات .. وقلنا :

- إننا نقبلُ المساعدات العسكرية ولكننا غير مستعدين
للتوقيع على الشروط التي تربطون بها الدول .
قالوا :

- سنعطىكم أسلحة أمريكية بدون توقيع شروط .
قلنا لهم :

- لا .. نريدُ سلاحاً بالثمن ..

فقالوا :

— سنعطىكم أسلحةً بعشرين مليون دولار فى عام
١٩٥٤ — ١٩٥٥ .

قلنا لهم :

— « مستعدين » نشترى

دارت هذه المحادثات وتكررت وطال أمدها .. بعد ذلك
تلقيننا وعدًا رسميًا من مسئولين أمريكيين بتزويدنا بالأسلحة..
وفى أبريل ١٩٥٣ جاء إلى هنا وزير خارجية أمريكا وتكلمنا
فى التسليح .. بل طلب منا قائمة بما نحتاج إليه من الأسلحة ،
أو بعبارةٍ أصحَّ الحد الأدنى لما نحتاج إليه .

أعددتنا القائمة .. وبالمثل .. بالرغم — ولا أخفى عليكم —
من أننا بحاجة إلى الموارد كافة لبناء وطننا ورفع مستوى معيشة
المواطنين ، وليس لدينا أى عملة صعبة لأية أغراضٍ أخرى ..



أعددتنا القائمة ثم بعثنا بوفد .. بعثة عسكرية إلى « واشنطن »
لعمل ترتيبات تسلم الأسلحة .. وظلت البعثة شهرًا عديدة
فى « واشنطن » .. وأخيرًا عادت إلى مصر خاوية الوفاض ..
لم نصل معهم إلى نتيجة سوى الأقوال والوعود .. وأن هناك
أسلحة ستأتى .. لكننا لم نتلق هذه الأسلحة ..

تلقينا وعوداً ، ولكننا لم نحصل على الأسلحة .. لم نستطع
أن نأخذ من أمريكا قطعة واحدة من السلاح . وحتى الآن ،
انتهت العملية الطويلة العريضة لوعود .. للكلامِ حلولٍ فقط .



أما فرنسا ، فكانت تساومنا دائماً .. كانت تقول لنا :
نعطيكم السلاح على شرط أن تتخلّوا عن عروبكم . .
على شرط أن نرى المذابح التي تحدث في شمال أفريقيا ونسكت
عليها .. نغمض عيوننا عن عروبنا ..
الحقيقة أننا لم نأخذ إلا مطالبات ..

وفي الوقت الذي تُلغى فيه فرنسا صفقتها معنا .. نراها
تفقدُ اتفاقها مع إسرائيل .. وكنت أقول لهم :

— إن إمداد إسرائيل بالسلاح لن يساعد على إقرار
السلام .. إن العرب يعتبرون أن كل رصاصة تسلّم وتُحصل
عليها إسرائيل معناها إهدار حياة مواطنٍ عربي .. معناها
موت لشخصٍ عربي .. هذه هي قصة فرنسا ..

إنني أذكرُ في هذا الوقت .. أذكرُ أننا في بعض الأحيان
قد أرقنا ماءً وجوهنا .. ولكن لم نتخلّ أبداً عن مبادئنا ..
أرقنا ماءً الوجوه ونحن نطلبُ السلاح ، ونحن نستجدي
السلاح ، ولكننا في نفس الوقت صمّمنا على المحافظة

على المبادئ .. وأعلنّا أننا نسلحُ جيشنا من أجلِ حريتنا
ومن أجل شخصيتنا المستقلة .. من أجل كرامة مصر ..
وأعلنّا أننا لن نسلحَ الجيشَ على حسابِ استقلالِنا أو على
حسابِ حريّتنا ..



وأحكى لكم قصة بريطانيا .. ماذا كانت قصة إنجلترا ؟
كانت إنجلترا تقول لنا : إنها مستعدةٌ لتموّلنا بالسلاح ..
وكنا نقول لهم : إننا نقبل شاكارين ..
ولكن كل الوعود كانت مرتبطةً بشروط . نأخذ
السلاح بشرط أن نوقع على الدخول في حلفٍ من الأحلاف .
وبسببِ الضغط البريطاني في ذلك الوقت رفضت الولايات
المتحدةُ تزويدنا بالأسلحة .. ورفضت فرنسا كذلك ..
وفعلت بلجيكا نفس الشيء تحت ضغط بريطانيا بلا شك ..
كما رفضت السويدُ تزويدنا بالسلاح ..

الحقيقة أن بريطانيا كانت تبخلُ علينا بالسلاح ، في الوقت
الذي كان يجري فيه تسليحُ إسرائيل على قدمٍ وساق ..

استطاع جيشُ إسرائيل أن يأخذ أسلحةً من إنجلترا ومن
فرنسا ومن بلجيكا ومن كندا ومن إيطاليا ومن دولٍ أخرى

متعددة .. كان هذا الجيش يجد دائماً من يمدّه بالسلاح ..
وكنا نحن نقرأ في الصحف الأجنبية ، سواء في الصحف
الأمريكية أو الإنجليزية أو الفرنسية ، نقرأ أن جيش إسرائيل
متفوق في السلاح وأن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم العرب ..
وأن جيش إسرائيل يستطيع أن يهزم مصر .. كانوا يقولون
هذا في صحفهم فنقول لهم : إذن لماذا تمنعون عنا السلاح ؟ ..

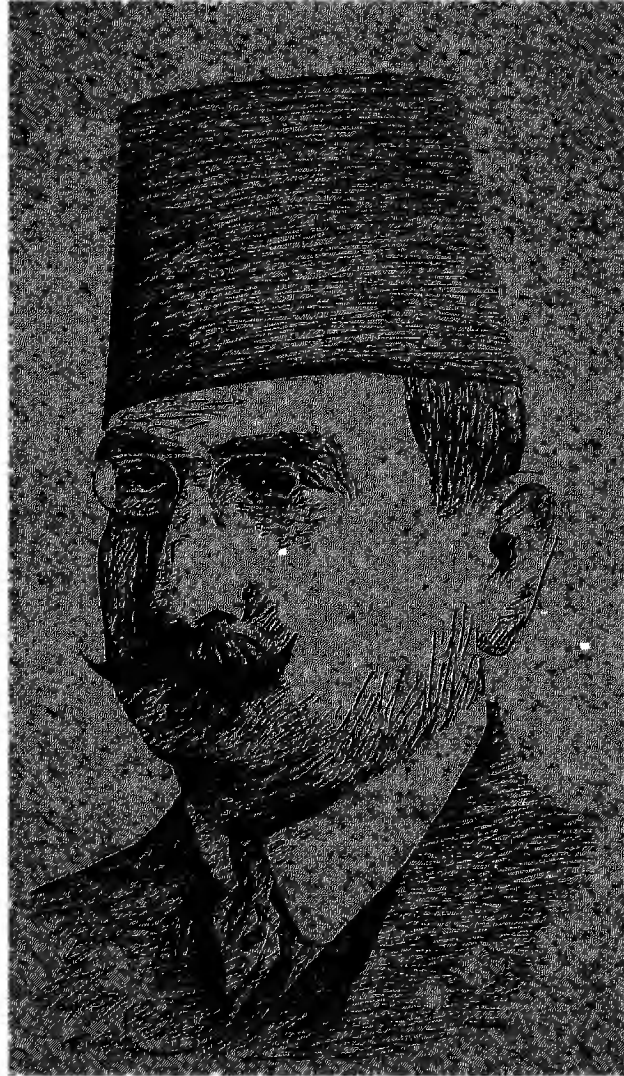
لقد سلّموا إسرائيل السلاحَ ومنعوه عنا .. لماذا ؟

لأنهم يريدون أن نكون ضعفاء .. وأن نكون تحت
رحمتهم .. وأن يجعلونا تحت حمايتهم .. وماذا كانت النتيجة ؟

بالطبع لم نأخذ سلاحاً من الغرب .. لم يكن معقولا
أن الذين أقاموا إسرائيل سوف يرضون أن يعطونا السلاحَ
لنواجه به عدوان إسرائيل .. فالاستعمارُ هو القوةُ الحقيقية
التي تسندُ إسرائيل .. والاستعمارُ يزودُّها بالأسلحة من أجل
القضاء على حريتنا كما قضوا على قومية أهل فلسطين ..



لم يكن معقولا أن الذين أعطوا وعدَ « بلفور » المشؤم
سوف يرضون لنا القوة لمواجهة هذا الخطر الصهيوني ،
وهذه الهجمات الصليبية التي تمثل حرباً صليبية جديدة هدفها



محمد فرید
بطل کافح ضد الاستعمار

استعماري تعصبي ، الغرض منها : القضاء على العرب وخلق
مُلكٍ لإسرائيل من النيل إلى الفرات .

الاستعمارُ إن أعطانا سلاحاً فلا بد أن يضمنَ أننا لن
نستخدمَ هذا السلاح إلا كيفما يريد وبالشروط التي يريد..
ورفضنا هذه الشروط لأننا نحرصُ على الحرية الحقيقية ..
ونحرصُ على السياسة المستقلة ..

ولكن حينما رأينا هذا التحكمَ .. هذا النفوذَ الذي يتحكم
فينا وفي رقابنا ، قررنا أن نطالبَ جميعَ دول العالم بأن تمدنا
بالسلاح بلا قيدٍ ولا شرط .. .

قدمت هذا الطلبَ باسم مصرَ إلى أمريكا وإلى إنجلترا
وإلى فرنسا .. إلى روسيا وإلى تشيكوسلوفاكيا .. إلى باقي
الدول .. وانتظرت الردَّ .. المسألة بالنسبة لنا كانت مسألةَ
حياةٍ أو موتٍ .. فماذا كانت النتيجة ؟

وصلتني ردودٌ من بعضِ الدول توافق على تسليحِ
الجيش ولكن بشروط ..

رفضنا هذه الشروط .. فهذا هدفٌ من أهدافنا ..
وكما قلت لكم ، إننا قد نستجدي السلاح ، قد نُرِيق ماء
وجهنا من أجل السلاح ، ولكننا لن نتخلى عن مبادئنا .

وانتظرنا حتى وصلنا ردُّ هذا الطلب من حكومة
تشيكوسلوفاكيا ، تقول إنها مستعدة أن تمدَّنا بالسلاح حسب
حاجتنا وحسب حاجة الجيش وبالطريقة التي تناسبنا ..
على أساس تجارى .. على أساس المقايضة .. هذه الاتفاقية
تسمح لمصر أن تدفع ثمن الأسلحة منتجاتٍ مصرية من تلك
التي يمكن تصديرها مثل القطن أو الأرز .. ففي مقابل
الأسلحة نقدّم قطناً مثلاً ..

فقبلنا في الحال ..

قبلنا هذا العرض شاكرين ..



وأعلنّا صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا ومع الاتحاد
السوفيتي ..

وأعلنّا أنّنا قضينا على احتكار السلاح .. وتعامل معنا
الاتحاد السوفيتي بكل أمانةٍ وشرفٍ .. وموقفهم معنا كان
موقف الصديق للصديق .

لقد رفضوا إعطاءنا السلاح ولكن عندما استطعنا أن
نحصل عليه من غيرهم قامت قيامتهم .. ثاروا وهددوا ..
وقامت ضجة "مفتعلة" أثارت إسرائيل .. قامت ضجة في لندن

وضجةً في واشنطن .. قامت هذه الضجة من أجل استمرار التحكم واستمرار النفوذ ، فهم يعلمون أننا بدون سلاح سنكون تحت سيطرتهم .. وتحت نفوذهم .. ولكن بعد أن استطعنا أن نحصل على السلاح بدون قيد أو شرط فلن يكون في داخل مصر نفوذ إلا لأبناء مصر .. وأن مصر تصبح دولة مستقلة لا تقبل أى تدخل أجنبي في شئونها ..

ثاروا وهددونا وقالوا : إن ميزان السلاح في الشرق الأوسط قد مال .. وإن ميزان القوى قد اختل .. وإن هذا سيخلق حالة توتر ..

وكنْتُ أقول :

- إذا كان من الناس من يعتقد أن تسليح الإنسان لنفسه لأغراض دفاعية يخلق حالة توتر ، إذن فلن أقترح ، نزع السلاح من جميع القوات المسلحة في دول العالم كله ..

قالوا .. وقالوا .. ولم يسكتوا .. وبدءوا يسلحون إسرائيل .. بدأ الغرب يسلح إسرائيل من غير ضجة .. من غير ثورة .. في صمت وسكون .. أعطاهم الاستعمار طائرات ودبابات ومدافع .. أعطاهم كل شيء في هدوء وسكون .. ولكننا لم نسمع صرخة للاستعمار .. وهذا يؤكد أن للاستعمار



أغراضاً .. وهذا يؤكد أننا لا نواجه إسرائيل وحدها ..
ولكننا نواجه الاستعمار ..
عدونا ليس إسرائيل وحدها .. عدونا الذي أقام إسرائيل.

لحظة العمر

خلال قرونٍ طويلةٍ كانت أجيالُ شعبينا تكافحُ وتناضل
وكان الشهداءُ يسقطونَ على الأرضِ ويجوارهم أعلامهم
مضرّجةٌ بالدماءِ ، ولكنهم لم يستسلموا أبداً .. واستطاع
هذا الشعبُ بإيمانه وبصبره وتصميمه أن يرى اليوم الذى
تنزلُ فيه أعلام الاحتلال البريطانى وترفعُ فيه أعلامه ..
إنها لحظةُ العمر .. بل كانت العمرَ كله ..

تخلصت مصرُ من القوات الأجنبية^(١) .. وخرج الانجليزُ
من مصرَ بعد احتلال دام ٧٤ سنة ..

نعم ، فمنذ أكثر من سبعين سنة ، ووطننا يتكبرُّ ويتجبرُّ
فيه محتلٌ غريبٌ .. الكلمةُ كلمته ، والأمرُ أمره .. وقدر لهذا

(١) خرج آخر فوج من القوات البريطانية في ١٣ يولية ١٩٥٦ تنفيذا لاتفاقية الجلاء ،
واحتفل عهد الناصر مع الشعب بيوم الجلاء في ١٨ يولية ١٩٥٦ .

الجيل أن يشهد بعينه قوات المحتل الغريب تتسلل عائدة من حيث أتت .

إنّ هذا الجيل من شعب مصر من تلك الأجيال التي واعدتها القدر لتعيش لحظات الانتقال العظيمة التي تشبه مهرجان الشروق . لقد عشنا ساعة الفجر ورأينا انتصار النور الطالع على ظلمات الليل الطويل .

لقد عشنا وشاهدنا فجر الاستقلال .

لقد عشنا وشاهدنا فجر الحرية

وعشنا ورأينا فجر العزة والكرامة .

وكان هذا نتيجة كفاح طويل وعمل مستمر .. لكن الكفاح لا يتوقف عند غاية .. الكفاح ليست له نهاية .. مدى الكفاح في أي شعب يستمر مدى الحياة .. وأنتم الشباب عليكم مسؤوليات أكثر .. مسئولية بناء هذا الوطن .. ثم حماية الاستقلال الذي حققناه .. نحمل حريتنا ، ونحمي ما حققناه .. وسيتكاتف جميع أبناء الوطن من أجل حراسة ما حققناه ، لأن الشعب قد تولى أمره بيده ...

ولكن ، طالما كان هناك استعمار فلن نشعر باطمئنان وسنظل دائماً على حذر .

طالما كان هناك استعمار لا يمكن أن يكون هناك سلام .

نحن نسالمُ من يسالمنا ونعادي من يعاديننا .. هذا مبدؤنا ،
فنحن نريد السلام ، ونريد أن نعيشَ في سلامٍ بعيداً عنِ
المؤامراتِ الدوليةِ والمؤامراتِ الاستعماريةِ التي تريد أن تضعَ
يدها على الضعيفِ فينا لتلتهمه أولاً ثم تلتهمَ الآخرين ..

إنهم يريدون أن نكونَ ضعفاءَ ، بل إننا أغنياءُ بالإيمان
وأغنياءُ بالتضحية ومبادئنا : نحن مع حريةِ الشعوب . نحن
ضد الاستعمارِ والسيطرةِ الأجنبية ، لأن الاستعمارَ معناه
الاستغلالُ والسيطرةُ والتحكمُ ، ونحن .. لن نقبلَ استغلالاً ..
ولا سيطرةً ولا تحكماً ، لأن هذا الشعبَ صانعَ التاريخِ
وصانعَ الحضارةِ لا يقبلُ بأى حالٍ من الأحوالِ أن يخضعَ
للاحتلالِ أو للسيطرةِ الأجنبيةِ مهما كانت الأسبابُ .

إذن هناك حربٌ بيننا وبين الاستعمارِ برغم إرادتنا ..
لأننا نحاربُ هذه الحربَ من أجلِ الدفاعِ عن كرامتنا
واستقلالِنا وشرفِنا وحريتِنا ..



لقد استُعْمِرنا واحتُلَّت أراضينا ، وكل ما نريده أن نحققَ
لنا شخصيةً مستقلةً قويةً ليست تابعةً لأحدٍ .. شخصيةً حرةً
توجه سياستها الداخلية كيف تريدُ .. وكذلك توجهُ سياستها



الخارجية تحقيقاً لمصالحها . كل سياستنا تنبعثُ من مصلحتينا ،
من ضميرنا ، من نفسنا .. من أرضنا .. من مصر .. ولا نقبلُ
مطلقاً أن نأخذَ أوامرَ من الخارجِ ، فإذا أردنا أن نحققَ الحريةَ
والاستقلالَ لابدَّ أن نثقَ ونعلمَ علمَ اليقينِ أننا لابد أن
نعتمدَ على أنفسنا وعلى شعوبنا .. وإننا إذا اعتمدنا على دولةٍ
أجنبيةٍ فلن نكونَ في النهايةِ إلا غنيمةً كما كنا بعد الحربين
العالميتين الأولى والثانية .

إننا نسيرُ في هذا الطريقِ مهما قابلتنا المصاعبُ .. نسيرُ
في هذا الطريقِ لأننا نؤمنُ بالسيرِ في هذا الطريقِ ، وأن
لا حياةَ مع الذلِّ ولا حياةَ مع الاحتلالِ .

وما من شكٍّ في أننا جميعاً نحلمُ بمصرَ المتحررةِ القويةِ ،
ذلك أمرٌ ليس فيه خلافٌ بين مصريٍّ ومصري .

صورة طبق الأصل

تخلصت مصرُ من القوات الأجنبيةِ سواءٌ أكانت برية
أم بحرية .. وشعرنا أننا نقابلُ مرحلةَ جديدةٍ من تاريخنا ..
مرحلة نشعرُ فيها بأننا سادةٌ في بلادنا .. لكن .. هل تركنا
الاستعمار ؟

عندما صمّمَ الشعبُ على بناءِ السّدِّ العالى .. واجهنّا من
الاستعمارِ المعاكساتِ وكلِّ الوسائلِ التى تعوقُ التّقدم .
رفضوا أن يمدوا لنا يدَ المعونةِ وكان رفضهم بطريقةٍ مهينة ..

والسّدُّ العالى .. ضرورةٌ لمصر .. السّدُّ العالى جزءٌ كبيرٌ
من الخطةِ الكبيرةِ التى رسمناها لوطننا لكى نزيد مساحةَ
الأرضِ المنزرعةِ فى بلادنا ، من أجل مزيدٍ من الغداء ،
ومن أجل مزيدٍ من فرصِ العملِ للمواطنين .

ولإلى جانب ما يعودُ به على البلادِ من فوائدٍ لا تُحصى ،
فهو أضخمُ مشروعٍ من نوعه في العالم ..

المشروع كان في رأي رمزاً لمصرَ الجديدة .. وكنت أرى
أنه سيكونُ مصدرَ اعتزازٍ لكل مصري ..

وكان مفروضاً أن نبدأ المشروع في شهر يونيه (١٩٥٦) ..
وهذا البناء يتم على مرحلتين : المرحلة الأولى بناءُ السّد نفسه ..
والمرحلة الثانيةُ كهربتُه .. وكان مقدّراً لنفقاتِ بناءِ السّد
العالي حوالى ٢٠٠ مليون جنيه (في ذلك الوقت) .

واجهتنا عقبةُ التمويل .. وكان لابدّ من تمويل هذا المشروع
الضخم من الخارج .. واتصلنا بالبنك الدولي وطلبنا منه -
ونحن المشتركون فيه ؛ المساهمة في تمويل المشروع ..
دارت المحادثاتُ في سبتمبر ١٩٥٥ .. وبدأتِ المفاوضاتُ
المبدئيةُ لتمويل المشروع ..

ووجدنا تشجيعاً من الولايات المتحدة الأمريكية ، بل
إن بريطانيا نفسها عرضت أن تساهم بستة عشر مليون دولار
بشرط إتمام الموافقة على القرض الأمريكي .. وعلى هذا
الأساس سافر وزيرُ المالية إلى « واشنطن » ، فقال الأمريكان :
إنهم قرروا لمصرَ ٤٠ مليون دولار معونة ..

ولكنه كان كلاماً على ورق.. فقد رجع الانجليز في كلامهم وقالوا : خذوا القرض من البنك الدولي ونحن نعطيكم مليون جنيه والأمريكان يعطونكم ٢٠ مليوناً .

وفي هذه الأيام جاء السفير الروسي وقال :

– إن روسيا مستعدة للاشتراك في تمويل السد العالي.. وكان ذلك في شهر ديسمبر ١٩٥٥ فقلت له :

– إننا نتكلم مع البنك الدولي .

وتأجل الكلام في التفاصيل .

وعرف الأمريكان أن هناك عرضاً روسياً ، فأرسل مدير البنك الدولي يطلب دعوتَه للحضور لمصر .

وصل « مستر يوجين بلاك » مدير البنك الدولي في شهر فبراير ١٩٥٦ ، وقال إن البنك الدولي مستعد لإقراضنا ٢٠٠ مليون دولار .. وحينما قابلته قلت له :

– بصراحة نحن عندنا عقدة من ناحية القروض والفوائد لأننا رحنا ضحية الاحتلال بسبب القروض .. فلن نقبل أى مال يمس سيادتنا ..

وقال :

– إننا بنكٌ دولي ، وليس بنكاً سياسياً .. وليس لي
« دعوة » بأمريكا .. ولا أقول إلا الرأي الذي أرى به ..
فقلتُ له :

– إن مجلس إدارة البنك يتألف من الدول ، فهو على
هذا الأساس بنكٌ سياسى ..
وكنْتُ أنظر إلى « مستر بلاك » وأتصور أن الذي يجلس
أمامى : « فرديناند دلسبس » .

عَادَ بى تفكيرى إلى الكلام الذى كنا نقرؤه : ففي عام
١٨٥٤ وصلَ إلى مصرَ « فرديناند دلسبس » وذهبَ إلى الخديو
« محمد سعيد باشا » وجلسَ بجانبه وقالَ له : نريدُ أن نخفَرَ
قناةَ السويس ، وهذا المشروع سيفيدُ فائدةً لا حدَّ لها ،
فهو مشروعٌ ضخمٌ وسيعود على مصرَ بالكثير .

وعندما كُنَّا « بلاك » يسترسلُ في كلامه معى ، كنتُ
أحسُّ بالعقدِ الموجودةِ فى الكلام الذى يقوله .. ويعود
بى التفكير إلى « دلسبس » .. ثم قلتُ له :

– نحن عندنا عقدةٌ فى هذه الموضوعات .. ونحن لانريد
أن نرى « كرومر » فى مصر ثانية ليحكمنا .. عمل فى الماضى
قروضاً وفوائد على القروض وكانت النتيجة أن احتل

بلدنا .. فأرجو أن تضعَ هذا الاعتبارَ في نفسك وفي كلامك
معى ، فنحن عندنا عقدة من دلسبس ومن كرومر .. عندنا
عقدةٌ من الاحتلالِ السياسى عن طريقِ الاحتلالِ الاقتصادى.
هذه هى الصورةُ التى صورتَ لى .. صورة « دلسبس »
حينما وصل إلى مصرَ .. وصلَ « دلسبس » إلى الاسكندريةِ
وبدأ يعمل فى حذرٍ وخديعة ..



وفى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ ، وبعد أن اتصل دلسبس
بالخديو « محمد سعيد » ، حصلَ على امتياز القنالِ .. وفى صدرِ
هذا الامتيازِ الذى منحه « سعيد » « لدلسبس » قال الآتى:
« حيث إن صديقنا « مسيو فرديناند دلسبس » قد لفَتَ
نظرنا إلى الفوائد التى قد تعود على مصرَ فى توصيلِ البحرِ
الأبيض المتوسطِ بالبحر الأحمرِ ، بواسطة طريقٍ ملاحىٍ
للبواخر ، وأخبرنا بالفوائد التى تعود على مصرَ وأخبرنا عن
إمكانِ تكوينِ شركةٍ لهذا الغرضِ من أصحابِ رءوس
الأموال ، فقد قبلتُ الفكرة التى عرضها علينا وأعطينا
تفويضاً خاصاً بإنشاءِ شركةٍ لحفرِ قناةِ السويس واستغلالِ
القناة بين البحرين . » .

«دلسبس» قال للخديو، أنا صديقك وقد جئتُ لا فيدك
وأعملَ قناة بين البحرين تستفيد منها ..
وكان هذا الكلام عام ١٨٥٤ ..

وفي عام ١٨٥٦ .. أى منذ مائة عام .. تكونت شركة
قناة السويس..وتعهدت مصرُ بأن تورّدَ العمال الذين سيحفرون
القناة بأرواحهم وجماعهم ودمائهم ..

تعهدت مصرُ بتقديم العمال كسخرة .. ١٢٠ ألف عامل
ماتوا في حفر القناة .. حُفِرَت القناةُ بجماعِمتنا وعظامنا
ودِماننا ..

وكانت نتيجةُ الكلام الذى قاله «دلسبس» للخديو
عام ١٨٥٦ ، ونتيجةُ الصداقةِ والديون ، هى : احتلال مصرَ .
استدانت مصرُ بسبب هذا الموضوع .. فماذا فعلت ؟

اضطرت مصرُ فى عهدِ «اسماعيل» إلى بيعِ نصيبها من
الأسهم وقدره ٤٤ ٪ من أسهم الشركة ..

وفوراً أرسلت إنجلترا تشتري نصيبَ مصرَ من الأسهم
فى الشركة .. اشترته بأربعة ملايين جنيه .. وبعد ذلك
تنازلَ اسماعيلُ للشركة عن الأرباح التى كان يأخذها ..
وكان المفروض أن تأخذ مصر ١٥ ٪ من أرباح الشركة

زيادةً على أرباح أسهمنا ..

أى أن بريطانيا أخذت نصيب مصر بدون مقابل ..
انجلترا حصلت مجاناً على هذه الأسهم . وبعد أن كانت
القناة محفورة لمصر ؛ كما قال دلسبس للخدوي ؛ أصبحت
مصر ملكاً للقناة ..



عادت بي الذاكرةُ إلى الكلام الذى كنا نقرؤه عام ١٨٥٤
فقد قال البنك الدولى : إنه مستعد لإقراضنا ٢٠٠ مليون دولار
على خمس سنوات ، ونحن نصرف خلالها ٣٠٠ مليون دولار .
ولكنه لم يضمن أن تدفع أمريكا وانجلترا أكثر من ٧٠ مليون
دولار ..

وعلى هذا الأساس بدعوا يشترطون الشروط ..

وظهرَ الفخُّ ..

نأخذ ٧٠ مليون دولار .. ونبدأ فى المشروع ، ونصرفُ
المال فنطلبُ من البنك مبلغ ٣٠٠ مليون دولار ، فيعرض علينا
البنكُ شروطه .. وإما أن نقبلَ شروطَ البنكِ أو أن يتوقفَ
المشروعُ ويضيعَ ما أنفقناه هباءً . ولتحكموا فينا عندما تستنزف
أموالنا قبل أن نصلَ إلى أية نتيجة .

ومعنى هذا : أن يُرسلَ البنكُ من يجلسُ مكانَ وزيرِ الماليةِ
ومن يجلسُ مكانَ وزيرِ التجارةِ ومن يجلسُ مكانى أنا ..
هذا هو الفخ الذى انكشف .

من هنا كان كلما قعد « بلاك » وتكلم ، يعود بى التفكير
إلى « دلسبس »

هذا هو ما حدث فى الماضى ..
فهل يعيدُ التاريخُ نفسه ثانيةً ويعودُ إلى الخداع
والتضليل ؟
كلا .. لا يمكن مطلقاً .. لا يمكن أن يعودَ التاريخُ مرةً
أخرى .

لن نقبل أن يعيدَ التاريخُ نفسه مرةً أخرى .
إننا فعلاً نحسُّ بالقلق من التحكمِ والسيطرةِ .. ومن كلِّ
شئٍ يذكّرنا بالاستعمارِ الذى عانينا منه كثيراً .. ونحن نحاولُ
إخراجَ شظاياها من أجسامِنا .

وعادت القناة لأصحابها

نحن لا نكرر الماضي .. بل نحن نريد أن نبني بلدنا ..
ونتجه إلى الأمام ، وإذا التفتنا إلى الخلف ، فلنهدم آثار الماضي
التي حدثت رغماً عنا خداعاً وتضليلاً .. لن نخدع مرة
أخرى .. لن يخدعنا الاستعمار ..

وفي ذلك الوقت كنت قد سافرتُ إلى بلجراد (١) لمدة
أسبوعٍ لأجراءِ محادثاتٍ مع «المارشال تيتو والبانديت نهرو»
وجاءني النبأ في الطائرة وأنا في طريقِ العودهِ إلى القاهرةِ
من اجتماع « بريوني » (٢)

(١) ١٢ يولية ١٩٥٦ .

(٢) هذا الاجتماع حضره الثلاثة الكبار في جزيرة بريوني بالبحر الأدرياتيكي وهم :
شري نهرو رئيس وزراء الهند الراحل ، والمارشال تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا ورئيس
جمال عبد الناصر . وقد وضع هذا المؤتمر في ٢٠ يولية ١٩٥٦ قرارات هامة لتقوية الروابط مع
الدول التي ترفض الانحياز ، وتحرق التمايش السلمى العالمى ، وتحريم أسلحة الدمار ، ونزع
السلاح ، ووجوب حل مشكلات فلسطين والجزائر - قبل استقلالها - والمانيا وتمثيل الصين الشعبية
في الأمم المتحدة .



عدتُ إلى القاهرة لأواجه النتائجَ ووجدت قرارَ «دالاس»
(وزير خارجية أمريكا) بسحب عرض المساهمة في تمويل السدِّ
العالي .. وقد كانَ «نهر» ضيفاً في القاهرة ، فوجهتُ كلَّ
اهتمامي إليه ، ولم أتفرغ لأفكرَ في المشكلة إلا بعدَ أن
غادرَ البلاد .

ولزمتُ الصمتَ ثلاثةَ أيام ..

كان من المُحال وضعُ المشروع على الرفِّ بعد أن تراجعتُ الولاياتُ المتحدةُ الأمريكيةُ ومن ورائها بريطانيا، ثم البنكُ الدولي عن تمويلِ المشروع . ولم يكن أمامي وسيلةٌ أخرى لزيادةِ الدخلِ القومي بهذه الدرجة الواضحةِ إلا تأمين القناة ..



كان رفضُ القرضِ لبناءِ السدِّ العالى هوَ الدافعَ المباشرَ .. ووجدنا أن خيرَ ما نفعله أن نَعتمدَ على أنفسنا .. مؤمنين بحقنا في تأمين القناة ..

لقد بُنيتِ القناةُ من أجل مصرَ .. ولمنفعةِ مصرَ .. ولكن أصبحت مصرُ مِلِكاً للقناة .. وسألت نفسي :

— هل خضعتُ القناةُ لقوانينِ البلادِ وعرفِها ؟

كلا ، كانتُ دولةٌ في داخلِ الدولةِ تعتمدُ على الاستعمارِ وتعتمدُ على مؤامراتِ الاستعمارِ وأعوانه ..

كانت صرحاً من صروح الاستبدادِ ومنبعاً للاستغلال ، واستنزافِ المال ..

مثلاً : دخل القناة ١٠٠ مليون دولار كل سنة ، تأخذُ

منها مصرَ ٣ ملايين دولار فقط .. وبريطانيا تتلقى الفوائد كلَّ سنة منذ افتتاح القناة ..

اغتصبتْ بريطانيا حقَّنا فيها .. الشركةُ التي قامت من أجل مصلحةِ مصرَ .. دخلُها لم يكن لمصرَ .. كان يذهب لهم طبعاً .. ومع هذا فقد كان اسمها : شركة مساهمة مصرية .. وهذه الشركة مقرُّها باريس ..

هذه القناة ملكٌ لمصر .. حفرَتْ بواسطة المصريين .. ١٢٠ ألف مصريٌّ ماتوا أثناء حفرِها .. قناةُ السويس التي ضحَّينا فيها ، قناةُ مصريةٌ .. مصرُ هي التي مات من أبنائها ١٢٠ ألف عامل ..

هذه القناة ملكٌ لمصرَ .. نَسْتَرْجِعُها من أجلِ التصنيعِ ونَبْنِي بها تَقْدِمَتَنَا ..

وحسبَ القانونِ الدولي كلُّ دولة من حقِّها تأمين الشركات المنشأة داخلَ حدودِها الإقليمية ، ١٠٠ مليون دولار تحصِّلها القناة كل سنة .. سنحصِّلها نحن لمنفعةِ مصر ، وعلى ذلك فلن ننظرَ إلى المعونة الأمريكية التي كانت ٧٠ مليوناً فقط .



وفى ليلة ٢٦ يولية ١٩٥٦ ، كان على أن ألقى خطاباً

في الإسكندرية .. وكان في نيّتي أن أعلن في هذا الخطاب
تأميم القناة ..

وكان الجنود المصريون ينتظرون ومعهم أوامر بالاستيلاء
على مكاتب شركة قناة السويس ومنشآتها .. وكانت كلمة
السّر للبدء في العملية هي أن أذكر «دلسبس» في خطابي ..
وقلت :

هذه الشركة التي مقرها باريس مغتصبة مثل «دلسبس» ،
مثل «بلاك» عندما جاء .. ستبني السدّ العالي .. سنبنيه ونحصل
على حقوقنا .. سنعتمد على سواعيدنا وعلى دمائنا .. فنحن
أغنياء .. كنا متهاولين في حقوقنا .. أما اليوم فسوف نسترد
هذه الحقوق خطوة ، خطوة .. وأقول باسم شعب مصر
إننا سنحافظ على هذه الحقوق ودونها دماؤنا وأرواحنا ..
وسنبني مصر القوية .. مصر العربية .. وقد وقّعت اليوم ،
ووافقت الحكومة على القانون الآتي :

باسم الأمة .. قرار من رئيس الجمهورية :
«تؤمّم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية إلى
شركة مساهمة مصرية ..»

وبمجرد أن انتهت من إلقاء خطابي ، كانت العملية

كلّهما قد نُفِدتْ .. ولا أعرف شيئاً مرّةً بهدوءٍ في حياتي كما
مرّتْ هذه العملية ..



بعد مائة سنةٍ عادت الحقوقُ إلى أصحابها.. عادت حقوقنا
في قناة السويسِ بعد ١٠٠ سنة .. وأصبحت القناةُ مِلِكاً
لمصرَ بعد أن كانت مصرُ مِلِكاً للقناة .

أمّمنا القناةَ حتى تعودَ أموالنا إلينا .. أموالنا التي يستغلونها
ويمتصّونها في أرضينا .. وبكل تأكيد ليس عيباً أن أكون
فقيراً ولكن العيب امتصاص الدماء .

أمّمنا القناةَ ونحن نعتقدُ أننا بهذا نُشعرهم أن هذا الشعبَ
لا يرضى الإهانةَ والهوان . حتى يشعر بالاستعمارُ أننا ، وإن كنا
دولةً صغيرةً لا تملك القنابل الذرية ، لكننا نحافظ على
استقلالنا وكرامتنا .. لن نكرّر الماضي أبداً .. ولن نلجأ
إلى تجارِ الحروب ..

نحن لسنا دولةً عظمى ، ولسنا دولةً كبرى ، إنما نحن
دولةٌ على قدرِ الحالِ نحاول أن نبني أنفسنا بأنفسنا .. أمّمنا
القناةَ فقامتُ قيامةُ الاستعمار .. هذد .. وتوعد .. وهذا
له قصةٌ أخرى ..

كل انتصار.. محطة سرية

حتى أنا .. لم أكن أتصور مدى الفرحة التي استقبل بها الشعب قرار تأميم القناة .. لا الشعب المصري وحده ، لكن العالم العربي كله . خرجت بعد تأميم القناة إلى الشارع والشعب كله يهتف : « حنبى السد .. حنبى السد .. »

إننا اليوم ونحن نستعرض التاريخ الماضي ، أحسست أننا بنى أيضاً سدّ العزة والحرية والكرامة .. ونقضى على سدود الذلّ والهوان والاستعباد .. إننا يجب أن نبني السدّ العالى فى سبيل المجتمع الذى نريده . ويجب أيضاً أن نبني يدي ، وندافع عن بلدنا يدي أخرى ، حتى لا يتحكم فىنا مُستبد ، ولا يتحكم فىنا مستعمر ..

وبعد تأميم القناة ، اتبع الاستعمار أساليب معينة ..

أساليبَ هو خيرٌ فيها باستمرار وبدأت حربُ الدعاية
ضدّنا ..



بعد تأميمِ القناةِ بسبعةِ أيامٍ بدأتِ الإذاعاتُ السريةُ ضدّ
مصر.. ضدّ الانتصاراتِ الكبيرةِ وللتشكيكِ في مشروعاتِ
معيّنة ..

كنا نسمع محطاتَ إذاعةٍ تتكلمُ في الليل والنهار.. ظهرت
محطةٌ سريةٌ اسمها «صوت الحق» تهاجمُ الشعبَ المصريَّ
والشعبَ السوري . ومحطةٌ سريةٌ أخرى اسمها «صوت
مصر الحر» تهاجمُ الحريةَ والأحرار .. كان ذلك بعد
معركةِ «بورسعيد» .. كلُّ انتصارٍ بمحطةٍ سرية .

اتبع الاستعمارُ أساليبَ متعددةً للمحطاتِ السرية التي تذيعُ
ليلاً ونهاراً وتقول كلاماً بذيئاً .. وقد قال نائبُ بريطاني :
إن هناك محطاتٍ سريةً إنجليزيةً تقدمُ إذاعاتٍ بذيئة ..
والحكومةُ الإنجليزيةُ بما عهدناه فيها ، كذبتُ هذا الكلام.
وكلنا نعرف أن الكلامَ الذي تقوله المحطاتُ الاستعماريةُ
أكثر من بذيءٍ، يهدف إلى تحقيقِ أهدافِ الاستعمارِ وتضليلِ
الأحرار ..

لهم ساخطون علينا ويشتموننا ليلاً ونهاراً في إذاعاتهم
وفى صحفهم .. لماذا ؟

كنا فيما مضى ، قبل الثورة نسمعُ الكلامَ ونسيرُ بجانب
الحائطِ وكانت هذه الحالُ بالنسبةِ لهم مريحةً جداً ، ولهذا لم
يكونوا ساخطين علينا ..

وبدأتُ حملةً بواسطة مكاتبِ الاستعمار تُوزَّع الصورُ
الكاريكاتورية في جميع البلادِ العربية وترسلها أيضاً هنا
في مصر .. ولكنّ الوعيَ العربيَّ كان أقوى من قوةِ الاستعمار،
والعربُ الأحرارُ كانوا يقولون لنا :

« شوفوا الاستعمار ييعمل إيه »

العرب عاشرُوا الاستعمارَ وعرفُوا أساليبهَ وأهدافهَ ..
الاستعمارُ الذي وعدَ أهلَ فلسطين بالحرية سنة ١٩١٧ وبأن
يكونوا دولةً مستقلةً ، وأعطى في نفس الوقت وعدَ «بلفور»
الذي يعطى فلسطين لليهود ..

هذا الاستعمار ليس غريباً علينا .

ولم يقتصر الأمرُ على هذا الحد ، لقد زُورتُ الجرائدُ
المصرية .. مثلاً مجلة روز اليوسف المصرية ، عملوا مجلةً أخرى
تشبه روز اليوسف تماماً ، وفيها معلوماتٌ مزوّرةٌ وكاذبةٌ

ضدّ مصر ووزّعوها في أنحاء العالم العربي وفي نيويورك
بإمكاناتٍ كبيرةٍ جداً .

أما الصحافةُ الأمريكيةُ فهي تصنعُ الحكاياتِ ثم تصدّقُها
ثم تبنى أحكامها على أساسِ هذا التصديق ، وحين نقرأ
في صحفِ الدول الاستعمارية نجد كلاماً فارغاً يُعبّر عن الحقدِ
وعدمِ الاعترافِ بالحقيقة ، وأول مرةٍ اعترفوا بالحقيقة
حينما نشرت إحدى الصحف الحقيقة عن التطور الاقتصادي
في بلادنا .

ومرةً أخرى أريد أن أقول : إن وسائل الاستعمار لا تنطلي
علينا ، لكننا نكشفها يوماً بعد يوم ، ولقد ذكرتُ على سبيلِ
المثالِ محطات الدعايةِ التسع السرية التي تعملُ ضدنا .. والغرب
هو الذي يشنُّ علينا حربَ الدعايةِ والحربَ السياسيّةَ والحربَ
الاقتصادية ، ولقد اتضحتْ النياتُ العدوانيةُ المتربّصةُ بنا ،
في حين تحقّق أنه ليس لدينا نحن أيُّ نيّاتٍ عدوانيةٍ .

إننا نريدُ أن ندافعَ عن أنفسنا .. وهذا حقٌّ مشروع .
إننا نعتبر أن حقّنا في الدفاعِ عن أنفسنا ضدّ العدوان
بجميعِ أشكاله حقٌّ مقدّسٌ لنا ، والمعرّكةُ من ناحيتنا معرّكةٌ
دفاعية .. هذه هي حقيقة الموقف .

وإن شاء الله سننتصر دائماً وسيعملون محطاتٍ سريةٍ .

القناة ليست للبيع أو للإيجار

كُنَّا ننادى بالسلام ونقول إننا نعملُ من أجل رفاهيةِ
أبناءِ مصر ، ولكن هل تركنا تجارُ الحروب نبني من أجل
حياةِ الرفاهيةِ لجميعِ أبناءِ الوطن ؟

الاستعمارُ لا يريدُ لنا أن نبنيَ ولا أن نرفعَ مستوى المعيشةِ ،
ولكن الاستعمارَ كان يريد منا أن نعملَ من أجلِ أهدافه
ومن أجل تنفيذِ سياسته ..

إن المشكلةَ الحقيقيةَ هي تدخلُ الاستعمارِ المستمرُّ في أمورنا ،
ولإصراره على أن يُعيدَ الشرقَ العربيَّ إلى مناطقِ نفوذه التي
تمردَ عليها بالرغم من أنهم نادواَ بحريةِ تقريرِ المصير ،
وبحريةِ الشعوبِ في تقريرِ مصيرها .. هذه هي مبادئ الأمم
المتحدة التي نادوا بها والتي أعلنوها بعد الحربِ العالميةِ الثانيةِ ،

لكنهم اليوم تنكسروا لتقرير المصير ولحرية الشعوب . ولست أفهم لماذا لا يحترمون إرادة الشعب العربي ؟ ولماذا يُصرّون على موقفهم هذا ؟

الاستعمار لم يرضَ أبداً أن يرى مصرَ وقد تحرّرتْ من العبودية . وحاول الاستعمار دائماً ألا تقومَ لنا قائمة . ، وكان يقفُ لنا دائماً بالمرصاد ، يريد منا أن نكونَ أذلاءً تابعين ، نحيا حياةَ جُرُدتْ من الشرفِ ومن الكرامة . لكنّ الحياةَ الدليّةَ هي العبودية ، والموتُ خيرٌ من الذل . وأراد الاستعمارُ أن يُشعرنا بأن معركتنا في سبيلِ الحريةِ والاستقلالِ سنذوقُ فيها الويل .. ونذوقُ منها العذاب .. فصبرنا .. وكافحنا ..

بعد تأميمِ القناة .. بدأ الاستعمارُ يهدّدُ .. بالحربِ والقوّة والعدوان ..

بعد التأميمِ بدأتْ حربُ الأعصاب ..

حسب الاستعمارُ .. وقادةُ الاستعمارِ ، وقالوا : إن مصر ستقتل قناةَ السويس .. ستقتل طريق المواصلاتِ الرئيسي ، وكانت هذه مشكلةً مفتعلةً - خلقتها فرنسا وبريطانيا .. بل أمروا مرشديهم أن يتركوا خدمةَ القناة يوم ١٤ سبتمبر ١٩٥٦ .. في منتصف الليل .. حسبوا بغير شكّ أنهم بهذا

يشلثون حركتنا ..

وفي الظروف العادية يحتاج تسخير الملاحه ٢٥٠ مرشداً ولم يبق لنا بعد أن تخلّى المرشدون البريطانيون والفرنسيون عنا ، سوى ستة وعشرين مرشداً مدرباً ، وثلاثين مرشداً تحت التمرين .. ولكن بعض المرشدين المصريين اشتغلوا ٧٢ ساعة بلا توقف ..

وفشلت هذه المحاولة .. وظلت القناة مفتوحة ، ولم يحدث فيها أى تعطيل أو توقف ، وتمكننا من إدارة القناة وأثبتنا كفاءة في ضمان سلامة الملاحه في القناة منذ الليلة الأولى . فموقفنا واضح . القناة في نظرنا لا تثير مشاكل بالمره .. وموقفنا واضح في رغبتنا على المحافظة على مصالحنا مع رغبتنا رغبة أكيدة في التعاون مع الدول المنتفعة بالقناة . هل أقفلنا قناة السويس ؟

تركنا قناة السويس مفتوحة لتكون خيراً لنا وخيراً للإنسانية ..

وموقفهم واضح .. لم تكن المشكلة خاصة بالملاحه أو باستخدام قناة السويس في نظر البريطانيين أو الفرنسيين .. بل كان هدفهم إفساد خططنا حتى لا نتمكن من مواجهة نفقات بناء السد العالي باعتمادنا على دخل القناة .

وبعد التأميم .. سألوني : هل من الممكن أن تدرس
اقتراحاً بتأجير قناة السويس لمدة عشر سنوات ؟
وطبعاً لم آخذ هذا العرض المضحك على محمل الجد
وأجبت :

— قناة السويس ليست للبيع ولا للتأجير .
فقالوا :

— ولكنّ تأجير قناة السويس سيُموّل مشروع السدّ العالى .
فقلت :

— حقاً ، ولكن السياسىّ المسئول ، لا يستطيع أن يبيع أو يؤجر
سيادة بلاده .



وأراد الاستعمار أن يعطى لمصر درساً تفهمه وتستوعبه
الدول الأخرى التى تهدف إلى الحرية والكرامة .. فدعت
دول الاستعمار إلى عقد مؤتمر فى لندن .. وبدأ مؤتمر لندن
يدعو إلى تدويل القناة التى هى جزء من مصر . وهذا تعبير
مهذب عما ينبغى تسميته بالاستعمار الدولى .

وأراد «مؤتمر لندن» أن يفرض علينا رأيه فرضاً ..
وأرسل إلينا بعثة برئاسة « منزيس » رئيس وزراء استراليا



ومعه لجنة تمثل ١٨ دولة ..

أتى بالتهديد والوعيد .. جاء إلى مصر وطلب منا أن نقبل
تدويل القناة .. وكان ردنا :

- القناة جزء من مصر ولا يمكن تدويلها لأنها تُحدِّد
بأرض مصر، ويعيش عليها أبناء مصر ..

وهلّ دنا « منريس » وقال :

- إن القناة إذا لم تُدوّل ستُصابُ بمتاعب لا أوّل
لها ولا آخر ..
قلت له :

- إذا كانت المتاعب ستقابلنا على أى حالٍ من الأحوال
فخيرٌ لنا أن نقبلها من الآن ، ولا داعي للمفاوضات .

وقلتُ له : إن شعبَ مصرَ لا يسمحُ لكرامته أن تُمسَّ .
عاد « منتريس » إلى لندن فاشلاً .. فهو لا يؤمنُ أن مصرَ
يمكن أن تديرَ القناة .. ويؤمن بأنه لا بدَّ من تدويل القناة ..
يؤمن أن القناة لا بد أن تكون مِلْكاً للدولِ الاستعمارية .



وحينما عُرِضَت مشكلةُ قناة السويس على مجلس الأمن ،
فإن « الفيتو » السوفيتي هو الشيء الوحيد الذي أوقفَ قرارَ
مجلس الأمن ومنعَ تدويل السويس ، وكان الجميعُ في جانب
تدويلِ القناة ماعداً الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا .

وعندما التقيتُ بالشعب السوفيتي فيما بعد قلت لهم باسم
شعب مصر : إننا شعبٌ نصادقُ من يصادقُننا ونعادي من
يُعاديُننا .. وإننا شعبٌ يحفظُ الجميل .



خرج الاستعمار من الباب .. وعاد من الشباك

كُنَّا نعملُ على بقاء القناة مفتوحةً للملاحة ، بينما كانوا
يعملون على إغلاقها .. وقد أغلقوها فعلا .. بالعدوان ..
هاجمونا .. وسلّوا مجرى القناة ..

كُنَّا نقول : نسالم من يسلمنا ونعادي من يعاديننا ..

كُنَّا نقول : ليست لدينا أية نوايا عدوانية ..

ولكن هل تخلّلت انجلترا عن حقّها وعن مكرّها ؟

خرجت القوات البريطانية وبعد أربعة شهور ، رجعوا
ثانية ليحتلّوا مصر بالطائرات .. بالحرب .. بالعدوان ..
معركتنا مع الاستعمار بعد الجلاء لم تنته ..

الإنجليز خرجوا في يونيو ورجعوا في أكتوبر من نفس

العام .. أربعة أشهر أحسستنا فيها بطعم الحرية ..

ولكن ، كانت إنجلترا تقف لمصر دائماً بالمرصاد ..
فهى ترى فى قوة مصر تهديداً لمصالحها فى الشرق الأوسط ..
فحينما أثبتت مصر وجودها فى العالم كقوة عسكرية ، وحينما
وجدت إنجلترا أن قواتها المسلحة أصبحت عاملاً هاماً فى القضاء
على النفوذ البريطانى ، تكاثفت دول الاستعمار على هدمها
وتآمرت بريطانيا على مصر واستطاعت فى هذا الوقت أن تنزل
بمصر ضربة حينما قضت على أسطولها فى معركة «نفارين»
سنة ١٨٢٧ . وبعد هذا فى سنة ١٨٨٢ ، لم تقبل إنجلترا أن
تنهض مصر ، وأن تخلق لنفسها شخصية قوية فتآمرت عليها
مرة أخرى ، واستطاعت بالخدعة أن تثبت أقدامها ..
هذا هو التاريخ .. تاريخنا فى الماضى .



أما فرنسا . فكانت تريد بالدرجة الأولى ضرب مصر
باعتبار مصر قاعدة لحركة الثورة العربية .. فرنسا كانت ترى
فى قوة مصر تهديداً لنفوذها فى شمال أفريقيا .. كانت تريد
أن تبعد مصر عن أداء دورها المشروع والحق فى تأييد
ثورة شعب الجزائر . كانت فرنسا تريد إخضاع القاهرة

وهى تعتقد أنها تستطيعُ بذلك إخضاع ثورة الجزائر .
تأمروا بخبثٍ ومكر .. بطريقةٍ لا تدعو للاحترام
بل للسخرية .. هل سيعيد التاريخُ نفسه ؟

لقد بدأتِ المؤامرات بمؤامرة إنجلترا وفرنسا وإسرائيل
بهجوم إسرائيل الفجائي على الحدود المصرية يوم
الاثنين ٢٩ أكتوبر (١٩٥٦) ، بدون أى سببٍ إلا التآمر ،
وإلا فقد بريطانيا .

فى صبيحةٍ هذا اليوم عبر الإسرائيليون حدود مصر ..
وحينما هجمت إسرائيل أعلنت بريطانيا أنها لن تستغل
الفرصة .. ولكن ..

فى اليوم التالى .. فى يوم ٣٠ أكتوبر ، قُدِّمَ إلينا إنذارٌ
بريطانيٌّ فرنسى .. إنه أعجبُ إنذارٍ فى التاريخ .. أعجب
إنذارٍ يُوجِّهُ من دولةٍ إلى دولة ..

والإنذارُ يطلبُ وَقْفَ القتال ..

وقف القتال .. والقواتُ الإسرائيلية المعتدية لا تزالُ
داخل الأراضى المصرية .. ويطلبُ الإنذار من مصر ، ومن
إسرائيل أيضاً الانسحاب عشرة أميال عن قناة السويس .. يطلب
بأن ينسحبَ كلُّ من الجانبين إلى مواقع تبعد عشرة أميال



جوزيف بروز تيتو
بطل كافج ضد الاستعمار

عن قناة السويس .. وإلا .. التدخل .. ويطلب الإنذار قبولَ
احتلالِ بورسعيد والاسماعيلية والسويس بواسطة القوات
المسلحةِ البريطانية والفرنسية من أجل حماية الملاحة في القناة.
حدث هذا في وقتٍ كانتِ الملاحةُ فيه مستمرة .. ولم تهددِ
إطلاقاً .. وقالتِ بريطانيا في إنذارها : « إذا لم يصل الرد قبل ١٢
ساعة فإنها ستعمل على تنفيذ ذلك » .

* * *

طبعاً إسرائيل كانت سعيدةً بهذا الإنذار لأنه يحققُ لها
أهدافها .. وأعلنتِ إسرائيل حليفةً بريطانيا وفرنسا أنها
وافقتْ على هذه الشروط ..

طبعاً إسرائيل توافقُ على أن تنسحبَ عشرة أميالٍ عن القناة.
وقف القتال .. توافقُ عليه أيضاً لأنها المعتدية ..

واحتلالُ بورسعيد والاسماعيلية والسويس .. إسرائيل
توافق عليه طبعاً .. لأن إسرائيلَ هي الوحيدةُ التي عارضتْ
في جلاءِ بريطانيا عن منطقةِ القناة . أما مصرُ ، فكانت الضحيةَ
لهذا الإنذار ..

لكن هل نقبل احتلال بريطانيا وفرنسا لقطعةٍ من أرضِ

مصر ؟

هل نقبل راضين هذا الاحتلال أم هل نقاتل في سبيل
حرية وطننا وفي سبيل الشرف والكرامة ؟

إننا نقول : نسالم من يسالنا .. وسنقابل العدوان بالعدوان ..
وهناك فرق بين السلام والاستسلام .. السلام لا يعنى مطلقاً
الاستسلام .. ولكن يعنى السلام الحرّ الشريف المبني على
حق الشعوب في حريتها وفي أن تحكم نفسها بنفسها وأن تتمتع
بحريتها وبخياراتها ..

إننا ننادى بالسلام .. سلام عن عزة وكرامة وشرف ..
وإننا نحمل السلام بدمائنا ، بعرقنا ، بعملنا لنعيش عيشة حرة
نتمتع فيها بأرضنا وبحكم أنفسنا ..

هذا هو السلام .. وهذه هي سياستنا التي أعلنّاها ..
أن نعيش أحراراً كراماً في بلادنا ..
ورفضت مصر الإنذار ..

وكان الشعب في الشارع ينادى : سنقاتل .. سنقاتل .. كل
واحد يقول : « حنحارب .. حنحارب » .. الشعب كله تجاوب .
رفضت مصر الإنذار وأعلنت بعد هذا الإنذار أنها
لا يمكن أن تسمح أو تقبل ولا يمكن أن توافق على احتلال
بورسعيد والإسماعيلية والسويس بقوات بريطانية وفرنسية ..

أعلنت مصر أنها ستقاتل لأن الشعب المصري كله سيهب
تحت السلاح ، فلابدّ من تحرير مصر ، ولا بدّ من جلاء قوات
الاحتلال .. لابدّ من توزيع السلاح لا على أهل القناة فقط ،
ولنما نوزعه على جميع أبناء الجمهورية لأنها معركة تخصّ
المصريين جميعاً .. وما من شكّ في أننا جميعاً نحلم بمصر
المتحررة القوية ، ذلك أمرٌ ليس فيه خلاف بين مصري
ومصري ..

ورفضتُ الإنذار على الفور وصممنا أن ننفدي بلدنا ..
رفضنا إنذار بريطانيا في سنة ١٩٥٦ وأبلغنا مجلس الأمن ..
رفضنا ونحن نعلم أن بريطانيا تملك القنبلة الذرية .. وتملك
الصواريخ ولأساطيل .. لكنّ هذه القنابل ستخبو ثم تنقلب
رماداً وتبقى شعلة الحرية عالية مرتفعة لا يمكن أن نخبو
أو يُطفأ لها وميض ..

* * *

وفي الساعة السابعة من مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ،
أصدرت وزارة الدفاع البريطانية بلاغاً بأنها ستضرب
المطارات المصرية نتيجة لرفض مصر الإنذار البريطاني
الموجّه إليها بسحب قواتها على بعد عشرة أميال من القناة ..

وبدأت بريطانيا وفرنسا في الساعة السابعة من مساء
(نفس اليوم) الأربعاء ٣١ أكتوبر بغاراتها الجوية على القاهرة
وعلى منطقة القناة وعلى الإسكندرية .. ولما سمعت أزيز
الطائرات قلت على الفور :

– إن هذه ليست طائرات إسرائيلية فليس لدى
الإسرائيليين قاذفات قنابل نفثة ..

وصعدت على عجل إلى سطح بيتي في مصر الجديدة
واستطعت منه أن أرى قاذفات القنابل تضرب مطار القاهرة
الدولى ، فأقمت في مجلس قيادة الثورة بالجزيرة وجعلت منه
دارى ومقر قيادى حتى انتهت حرب السويس ..

أبلغنا مجلس الأمن ولكن بريطانيا وفرنسا استهانتا بجميع
القوانين الدولية وبميثاق الأمم المتحدة وبالرأى العام العالمى
واعترضتا على قرارى بوقف إطلاق النار ، وقال « لايدن » :

« إن بريطانيا لا تعترف بقرارات مجلس الأمن وستعمل
ما فى وسعها كى لا تعتبر إسرائيل معتدية لأن عملها من
أحسن الأعمال » .

وأذكر هنا كلمة قالها « هيو جيتسكل » النائب فى مجلس
العموم فى بريطانيا .. قال « لايدن » أيام العدوان على مصر :

«إذا كنتَ تتصور» يا إيدن « أن الدنيا قد أصبحتْ غابة
فأرجوك أن تتذكر أننا لسنا أقوى الوحوش في الغابة».

هل نقاتل أو نسلم ونحن نواجه هذا الموقف؟

لابد أن نقاتل ولا بد أن نتحملَ الضحايا في سبيل المحافظةِ
على شرفنا فتاريخُ الشعوبِ في الكفاحِ هو الذي يكتب لها
المستقبلَ لتأخذَ من الماضي دروساً تتعظ بها وتعمل على هداها..
أيامَ النبيِّ «محمد» سقط شهداء .. أيامَ الإسلامِ سقط
شهداء حين فرض عليهم القتال ..
وأيامَ المسيحية سقط شهداء ..

واليوم يسقط منا شهداء لأننا نقاتل بعد أن فرض علينا
القتال . أما الاستسلام فلن يُفرض علينا أبداً ..
ولقد قاتلتُ شعوب من قبلنا ضدَّ قُوَى الظلم التي
تفوقها عتاداً .. فانتصرت ..

قاتلت يوغوسلافيا ، قاتلت بأسلحتها الصغيرة ، الفرقَ
المدرعةَ الألمانيةَ والسلاحَ الجوىَّ الألمانيَّ وانتهت ألمانيا
المعتديةُ ، وانتصرت يوغوسلافيا ..

قاتلت إندونيسيا قواتٍ تفوقها .. وانتصرت إندونيسيا
وانتهت القواتُ المعتدية ..

وكان شعبُ الهند الصينية يحارب الاستعمارَ الفرنسي
ودام هذا النضال سبع سنواتٍ ولكنه انتصر في النهاية ..



ووقعت الجزائر تحت السيطرةِ الاستعماريةِ سنة ١٨٣٠ ،
ومنذ هذا التاريخ وشعبُ الجزائر في ثوراتٍ مستمرةٍ دائمةٍ
ضد استعمارٍ يحكمُ بالحديدِ والنارِ فالمستعمر لم يكتفِ باحتلالِ
الأرضِ الجزائريةِ وإنما أراد أن يجعلها ميداناً لتجاربه الذرية ..
وتعلمتُ الجزائر كيف تحارب حرباً شاملة .. كلُّ واحدٍ فيها
حمل السلاح ..



إن نضالَ الشعبِ الجزائري واجه أهوالاً لا حدود لها ..
لم يقبل شعبُ الجزائر أن يخضعَ للاستعمار وبذل دمه في سبيل
كفاحه البطولي من أجل أن يحصلَ على استقلاله ..

إن ما ترويه قصةُ الاستعمار في مصر هو نفس ما ترويه
في كل مكان ، فما زال كثير من الشعوب الآسيوية
والأفريقية محروماً من حقوقه الطبيعية في الحرية والاستقلال
بسبب سياسةِ البَطْشِ والاستعبادِ التي مازالت بعض الدول
الاستعمارية تتشبث بأذيالها ..

في أفريقيا نجد أن الاستعمارَ نهب في القارة أخْصَبَ أراضيها

وأغنى مناصبها .. والكثيرون بيننا تصوروا أن الاستعمار قد انتهى في أفريقيا وأنه تخلّى عن مطامعه ، وبدأ يطوى أعلامه استعداداً للرحيل : بينما الاستعمار مصممٌ على البقاء .

في أفريقيا ما يقرب من خمسين مليوناً يعيشون تحت سيطرة الاستعمار وقواعده العسكرية ، وشعب أفريقيا يقاتل قتالاً مريراً ويطالب بحقه في الحياة ويطالب بالاستقلال وبالمساواة .. التمييز العنصري كحكومة جنوب أفريقيا ، من أدوات التسلل الاستعماري مثل إسرائيل .. فالاستعمارُ يمزقُ الوطن ويقيم فيه قاعدةً له ، وهذا ما حدث بالحرف الواحد في الوطن العربي : في فلسطين ..

وفي فلسطين كنت موجوداً في «الفالوجا» وكانت «الفالوجا» محاصرة ، وكان تركيزُ العدو عليها ضرباً بالمدافع والطيران تركيزاً هائلاً .. حوصرت القوات شهوراً ولكنها دافعت عن كياناتها ضدّ القوات الإسرائيلية المعتدية ، ولما طُلب منها أن نسلم ، كان ردّي على الضابط اليهودي الذي طلب مني ذلك :

إننا ندافع عن شرف مصر وشرف القوات المسلحة المصرية .

إن هذا الشعبَ جاهد طويلاً وكافح وقاتل وناضل

ولم يستسلم أبداً ، ولم يدُرْ بخاطره فى يوم من الأيام
أن طريقته هو الطريقُ السهل ، بل الطريقُ طویلٌ وشاق ..
وليس هناك طريقٌ مختصرٌ أو طريقٌ قصيرٌ إلى ما نريد ..

إن الطريقَ الذى نسير فيه . طريقَ الحرية : ليس
طريقاً سهلاً ، إن طريقَ الحريةِ الوحيدَ هو الجهادُ ،
وتكوينُ جيشٍ مدربٌ من الرجالِ والنساءِ فى كل قريةٍ
وفى كلِّ مدينةٍ حتى يصبحَ الشعبُ كله قوياً ..

أما الطريقُ السهلُ فهو طريقُ الاستعمار : طريقُ التخاذل .
طريقُ السيرِ وراءِ الدولِ الكبرى وأن نكون ذيولاً . .
ومصرنا سياستها مستقلة ولن نكون ذيولاً لأحد ، ولن نكون
تابعين لأحد ، ولن نتلقَى أوامر من «لندن» ، فأنا هنا أمثل
شعبَ مصر ، ولا أمثل إرادة «إيدن» أو تجارِ الحروب
أو المستعمرين .

وطالما كان هناك احتلالٌ أجنبي ، فإننا جميعاً تحت السلاح
لندافع عن أوطاننا فالشعبُ العربى سيقاوم الاحتلالَ فى كلِّ
بلدٍ وفى كل مكان ولن نخافَ التهديد ولن تُرهبنا الأساطيل
أو القنابل الذرية ، بل نقاتل قتالاً مريراً دفاعاً عن شرفِ
مصرَ وحريةٍ وكرامةٍ مصر . . نقاتل قوَى الظلم .. سنقاتل
ولن نسلّم .. سنقاتل ولن نسلّم .. ولن نحتملَ علمَ التحرير ..

ببطولة صممنا أن نفدى بلدنا

تحمّل شعبنا أهوالَ معركةِ السويس .. ولم يكن هذا سهلاً أو هيناً ، وقد شاركت في العدوان ثلاث دول ، بينها اثنتان من الدول العظمى استعملت في عدوانها تلك القاعدةَ التي خلقها الاستعمار وزرعها في قلب الوطن العربي لتقومَ دائماً بدورها في تهديده وارهابه ..

لما واجهنا العدوانَ الثلاثيَّ .. ولما شعرنا أنَّ الاستعمارَ يخرج من الباب ليعودَ من النافذة ؛ قاومنا - بكل قوانا ورفضنا السيطرةَ تحت أيِّ اسمٍ من الأسماء ..

المعركة بالنسبة لنا كانت معركةً "كبيرة" .. ربما أكبر من قدرتنا ، وطبعاً كانت أكثرَ من إمكانياتنا .. وكنا نعرف أن معركتنا عنيفةٌ .. ومريرةٌ ولكننا رغم هذا قاومنا .

وكانوا يقولون في الخارج إن مصر لن تقاتل ولن تستطيع
أن تقاوم أو تقاتل فكنت أقول :

إنني من هذا الشعب وأعرفُ عنصرَ هذا الشعبِ وقيمةَ
هذا الشعبِ ومتانة وصلابة هذا الشعب ..

كنت مؤمناً بمصر مؤمناً ببلدى وبأبناء بلدى وبكل فردٍ
في مصر .

كنت أعتقد اعتقاداً جازماً أن بورسعيد ستقاتل حتى
الرمقِ الأخير ..

في هذه الأيام لم نفكرُ إلا في الاستشهاد .. لم نفكرُ
إلا في أن نحملَ بلادنا بدمائنا ونحميَ وطننا بأرواحنا ..

وفي تلك الأيام وقفنا مع الحقيقة وجهاً لوجه ..
العدو بتفوقه الساحق في الطائرات ، في الأسطول ، في الغزو
وفي الغارات .. إن المعتدين قد خرجوا في حوالى ٤٧٠ غارة
جوية يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ كما يقولون هم أنفسهم ،
رغم كل هذا فقد قاومهم الأهالى مقاومةً عنيفة ..

وكنا نقاتلُ في بورسعيد ونواجهُ الدولَ الكبرى بلا خوف
لم نخفُ ، لا الكبار ولا الصغار .. ولا نستطيع أن نقول
إننا لم نقلقُ ونحن نواجه دولا كبرى.. كل واحدٍ شعرَ بالقلق..

أنا شعرتُ بالقلق ، لكن لم أشعر بالقلق على نفسي بأى حالٍ
من الأحوال ، طبعاً شعرتُ بالقلق على بلدى وعلى وطنى ..
كلُّ واحدٍ فينا له حق أن يشعرَ بالقلق ، ولكن كل واحدٍ فينا
أيضاً، ليس له حقٌ بأى حالٍ من الأحوال إلا أن يقاتلَ بشرفٍ
ويموتَ بشرفٍ أو ينتصرَ بشرفٍ ..

ولأول مرةٍ فى تاريخ مصر . فى تاريخنا كله ، وُزعتُ
الأسلحةُ على الشعب المصرى بحرية تامة ، وُزعتُ نصف
مليون قطعة سلاح على أبناء الشعب المصرى .. وحارب
الجيش وقاوم ، والشعبُ حاربَ وقاوم .

كانت الأمة تمثل الجيشَ الأكبرَ .. أمةٌ صممتُ على أن
تنتقمَ لأيامِ الاحتلالِ الماضى ..

وكانت بورسعيد معركةَ فاصلةٍ فى تاريخنا.. فى بورسعيد
كان البلدُ كلُّه يكافح .. لأن البلدَ بلدنا ، والشرفَ شرفنا ..
فى بورسعيد وقف الشبابُ والشيوخُ والنساءُ والبنات
جنباً إلى جنب ، مع الأبطالِ ، وتعاهدوا جميعاً على أن يحموا
أرضَ وطنهم الحبيب ..

خرجَ الأطفالُ فى بورسعيد ليحاربوا .. أطفالٌ
لا يتجاوز عمرهم عشرين ، مشوا وراءَ جنودِ الاستعمارِ
بالمدافعِ الرشاشة وجعلوهم يسرون وأيديهم على رؤوسهم .



وقف الشبانُ عمر ١١ سنة و ١٢ سنة في أيديهم البنادق
وفي أيديهم السلاح.. حملَ هؤلاء الشبابُ السلاحَ لأول مرةٍ ،
ولكنهم حملوه لمواجهة الاستعمار البريطاني الفرنسي، وللدفاعِ
عن كرامةِ هذا البلدِ وحرية.. حمل الشبابُ الصغيرُ السلاحَ
لأول مرةٍ . ومع ذلك لم تقع أيةُ حوادث .. إن هذه تجربةٌ
عظيمة لي فقد دعمت إيماني بشعبنا ..

الشبابُ الصغير . أولادُنا الصغار حملوا السلاح ليضحوا
بكل ما يملكون ..

ماذا يملك كلٌ منهم ؟

يملك روحه ويملك دمه .. لا يملك شيئاً آخر غير روحه
ودمه . ليعطيها لبلده .. يضحى بهما وهو مستريح البال ،
وهو مستريح الخاطر .



أولادنا الصغار - ١١ سنة - قاتلوا واستشهدوا ..

وحينما أذيعت أسرارَ الحملةِ على مصرَ ، قرأتُ في كتابٍ
لصحفي فرنسي نزل مع القواتِ المعتدية في بورسعيد ، أنه رأى
الشبابَ المصري في سن ١١ سنة يحمل السلاحَ ويقاتل في عنادٍ ،
وأنه استطاع أن يوقف الدباباتِ والقواتِ الانجليزية ..

قالوا فى كتبهم واعترف بذلك الأعداء قبل الأصدقاء ،
إن الشباب فى بورسعيد وقفوا وراء المتاريس يمثلون المقاومة
الصلبة ولم يتراجعوا أبداً عن موقف الدفاع بل قاتلوا واستشهدوا.
شهداء بورسعيد سقطوا فى سبيل المثل العليا .. بورسعيد
ضحت وقاتلت .. بورسعيد فدت الدول الصغرى كلها ...
بورسعيد فى محنتها الكبرى كانت تفدى مصر بدمائها ..
دفعت ضريبة الدم فقد كانت تحمى شرفنا وشرف الوطن..
إن شرف الوطن لا يتجزأ ..



وأظهرت هذه المعركة بطولة الشعب المصرى فهو الذى
قاتل الهكسوس وقاتل الصليبيين .. وهذا الشعب كان يعلم
هدفه ويعرف طريقه : فقاتلنا فى هذه المعركة لأننا صممنا
على أن تعود قناتنا إلينا بعد أن اغتصبها المستعمرون ..
قاتلنا لأننا صممنا على أن نبى السدّ العالى ..
قاتلنا لأننا نادينا بالقومية العربية والوحدة العربية ..
كانت هذه هى المبادئ التى قاتلنا من أجلها .. ولماذا
قاتل الأعداء ؟ لماذا قاتلت بريطانيا وفرنسا ، ولماذا قاتلت
إسرائيل ؟

قاتلت إسرائيل لكي تحقق الأطماع في التوسع . ولكي تدعم القومية الصهيونية .. وقاتلت فرنسا لأنها كانت تشعر ، أنها بهذا تستطيع أن تجلّ مشكلة الجزائر . وكانت مشكلة الجزائر بالنسبة لفرنسا المشكلة الكبرى التي تسقط الوزارات ... وقاتلت بريطانيا لأنها كانت تعتقد أن انتصار القومية العربية تهديد للنفوذ البريطاني كما هو أيضاً تهديد ونهاية للامبراطورية البريطانية نفسها .

وكانت هذه هي الأسباب التي قاتلوا من أجلها ..
وحينما أذيعت أسرار الحملة على مصر وأسرار العدوان قالوا إن «بن جوريون» قال لهم :
إنني لا أستطيع أن أواجه مصر وسلاحها الجوي ، وطلب من (فرنسا وإنجلترا) أن يحموا له بلاده بالطيران الفرنسي وأن يهاجموا الطيران المصري حتى لا يتمكن من مهاجمة إسرائيل ..

وقد جاء في كتاب «أسرار الحملة على مصر» ، وهذا الكتاب فرنسي ، أن الإسرائيليين في جنوب آسيا ، أعلنوا وصرخوا قبل انسحاب الجيش ، أن الطائرات الميج كانت تهاجم كالكلاب المسعورة .. بهذا اللفظ .. وأنهم تكبدوا خسائر فادحة ..

وحينما أعلنت الأسرار ؛ أسرار العدوان الثلاثي على مصر ، اعترفوا بأن المدرعات الإسرائيلية كانت محاصرة ، ولم تكن تستطيع أن تتقدم وأنها استعانت والتجأت إلى البحرية الفرنسية ، لكي تعاونها بالمدفعية .. والتجأت المدفعية إلى رفع حتى تضرب القوات المصرية التي كانت صامدة .. وكانت تدافع واستطاعت ، كما أذيع في هذه الأسرار ، أن تُحاصر المدرعات الإسرائيلية المتقدمة .

واستطاعت كتيبتان من الجيش المصري في « أبو عجيلة » أن تصمدا أمام لواءين : مشاة ولواء مدرع .. وكانت « أبو عجيلة » هي المعركة الوحيدة التي قامت في هذا الوقت بين الجيش المصري وبين إسرائيل ..

ولتقل إسرائيل ما حصل في معركة « أبو عجيلة » والخسائر التي تكبدتها في « أبو عجيلة » .

وفي هذه الفترة ، كان عندنا ٣٠ طياراً في المقاتلات ، وعشرة في قاذفات القنابل .. بمعنى ٤٠ طياراً من طياري المقاتلات ، والمفروض أن الواحد منهم لا يخرج في اليوم أكثر من ثلاث مرات .. ولكنهم خرجوا في هذه الأيام سبع وثمان مرات .. كان الواحد منهم يتزل من طائرته

ويتركها ويأخذ طائرة أخرى غيرها ويطلع بها ..

لم يحدث هذا في التاريخ .. لم يحدث أبداً من قبل ،
أن طياراً مقاتلاً خصوصاً في الطائرات النفاثة ، يطلع سبع
مرات أو أكثر .. ومع هذا كانت لنا السيادة الجوية ليس
فقط فوق بلدنا ، وفي سيناء ضربنا القوات المتقدمة في «متلا»
وأوقفناها .



إن تصميم هذا الشعب وإرادة هذا الشعب ، هو السر الكبير
الذي نعتمد عليه .. هو القوة الكبرى التي تمكّنتنا من أن نفعل
المستحيل ، والقوة الكبرى التي مكّنتنا من أن نرى السدّ
العالى .. هذا السد الذي حاربنا من أجله . حاول الاستعمار
وأعدائه الواقعة بين رفاق المعركة الواحدة وشركاء المصير
الواحد والواقع الواحد .. حاول الاستعمار بكل وسيلة أن يوقع
بين البلاد العربية .. واستطاع أن ينجح بعض الوقت في بعض
الظروف .. ولكن هل استطاع أن ينجح إلى الأبد ؟ إن الشعب
المصرى لم يكن وحده في هذه الوقفة التاريخية الرائعة ،
في جوّ الحرب وأمام مخاطر العدوان والإرهاب .. وإنما
وقفت معه أمته العربية كلها تدرك دوره في النضال ..

فلما حدث العدوان على بورسعيد قرر عمال البترول ..

فى سوريا أن ينسفوا أنابيب البترول .. وحينما أصدروا هذا القرار كان كل فرد منهم يعلم علم اليقين أن هذا النسف معناه ، أنه سيصبح عاطلاً عن العمل إلى أن تصلح هذه الأنابيب .

ولما عرف اتحاد نقابات العمال فى مصر بهذا القرار ، أرسل مائة ألف جنيه إلى عمال سوريا للبترول مساهمة منه فى دفع مرتباتهم أثناء تعطيل الأنابيب ، ولكن عمال البترول فى سوريا رفضوا أخذ هذا المبلغ وقالوا :

— إننا عندما اتخذنا قرارنا هذا ، وعندما لجأنا إلى هذا العمل ، كنا نعلم أننا نضحى تضحية أكبر وأقوى للمستقبل .

إن بترول العرب هو الذى يبى الاقتصاد الغربى .. ووصل الوعى العربى بالمواطنين العرب إلى أنهم لما عرفوا مصادر قوتهم أوقفوا البترول .. وقف بترول العرب عن الغرب عن طريق قناة السويس وعن طريق سوريا ..

وتأثر الغرب ، وأصبحت الأسباب التى كانت أسباب ضعفنا فى يوم من الأيام ، أصبحت أسباب قوة حقيقية لنا ، ولم تعد أسباب ضعف كما كان الحال من قبل .

واتسع ميدان القتال .. صارت معركة الدول العربية كلها .. دخل العرب فى كل بلد عربى ، معركة صعبة ضد الاستعمار والصهيونية .. اتسع ميدان القتال ولم تبق المعركة

فى بورسعيد أو فى سيناء ، لكنها صارت معركةً ضد الدول العربية كلها . وامتد ميدان القتال .. قام شعبُ العراق فى بغداد وفى البصرة وفى النجف لينتصر لإخوته .. خرج طلبةُ المدارس الذين يمثلون الشعبَ العربىَ المتحرر .. خرجوا بكراريسهم لينصروا القوميةَ العربيةَ ، وحينما كانت تسيل دماءُ أبناء مصر فى بورسعيد بفعل الاستعمار ، كانت دماءُ أبناء العراق تسيلُ فى مدن العراق بفعلِ أعوانِ الاستعمار .. فكل فردٍ عربى ، فى كل بلدٍ عربى يعلم علمَ اليقين أن حريته تعتمد على تضحيته ، تعتمد على ساعده وتعتمد على دمه .



إن الشعوبَ العربيةَ التى يعتبرونها لاحول لها ولا قوة قد هزمتُ الدولَ العظمى .. فالشعبُ هو القوةُ الأساسية ، والشعبُ هو الذى ينتصر ، وإرادةُ الشعوبِ تهزم الحديد والنار .. والشعب انتصر دائماً فى كل مكان . والانتصارُ الحقيقى الذى حققته الشعوبُ العربية ضدَّ العدوانِ وضد التهديدِ وضد الضغطِ الأجنبى ، كان له معنى كبير ، هو أن الأسباب التى كنا نعتبرها أسبابَ ضعفٍ ، أصبحت أسبابَ قوة لنا نستخدمها من أجلِ مصلحتنا .

وهكذا استطاعتُ الأمةُ العربيةُ أن تعطىَ للعالمِ المثل ، أن

لا قوة على سطح الأرض تستطيع أن تفرّق بين أبناء الوطن الواحد ، أو تفرّق بين الشعب العربي والشعب العربي ، بل لا خلاف على سطح الأرض يستعصى حلّه على أبناء شعب عربي مع شعب عربي .

واتحادنا في هذه المعركة كان أقوى من ٢٠ قبيلة ذرية .

وقد روى كتابُ أسرار الحملة ، أن الذين هاجمونا في شجاعة ، قد أصابهم الذعر والفرع ، لأن الحرب الذرية أصبحت على الأبواب ، فبعد أيام من الهجوم الإسرائيلي قدّم السوفييت مذكرتهم التي ذكروا فيها أنهم سيقومون في الجزائر بحرب ذرية خاطفة مالم تسحب كلٌّ من بريطانيا وفرنسا قواتها من منطقة قناة السويس ..

إن الأمر لم يعد مجرد عدوان على مصر ، بل الأمر يعني العالم بأجمعه .. وقبل البريطانيون وقف إطلاق النار ، وانسحبت القوات البريطانية والفرنسية بلا قيد ولا شرط لكن .. من المستول اليوم عن تهديد العالم بالدمار ؟

المستول هم الطامعون .. هم المستعمرون ، تجار الحروب

الذين يريدون استعباد الشعوب ..

المستول عن التهديد بالحرب التي قد تُفنى الإنسانية كلها ،

همُ المعتدون الذين جاءوا إلى أراضينا ، واعتدوا على أرضنا
وعلى رجالنا.. وكان الواضح للجميع أنهم يهدفون إلى السيطرة
والتحكم والاستعمار ، والعالم اليوم عالمٌ مُتصل يحس بكل
ما يحدث في أى مكانٍ فيه .. ولذا هبَّ الرأى العام العالمى
الحر ، فى كل بلد حر يؤيدنا .. يؤيد مصر وينادى ضد
العدوان ..

لا ننسى أننا حينما تعرضنا للعدوان هبت الشعوب فى آسيا
وأفريقيا ، وهبَّ الأحرار فى العالم من أجل مساندتنا ضد
العدوان ومن أجل الحصول على حقنا ..

وهبت جموعٌ من الشعوب ، وقامت أصواتٌ حرة
ضد العدوان حتى فى البلاد التى قامت بالعدوان .. انقسمت
الشعوب عليهم لأنها شهدت وعرفت مبادئنا ..

والشعوبُ اليومُ تفهم معنى السلام ومعنى الحرب ،
وتريد أن تعيش فى حياة يسودها السلام .

واستطاعت قوةُ الشعب وتصميمُ الشعب ، مع قوى
الشعوب التى هبَّت ومع تأييد الشعوب العربية ، وتأيد الاتحاد
السوفيتى ، وقوى باندونج ، قوى آسيا وأفريقيا ، استطاعت
هذه القوة ، أن تهزم الجنود المعتدين وأن تردّهم على أعقابهم

مرةً أخرى ..

انتصرنا لأن الشعب جميعه كان تحت السلاح .. قاتل
بشرفٍ من أجل مصر ومن أجل تثبيت الاستقلال ..
واستطعنا أن ننتصرَ بفضلِ المساعدةِ المعنويةِ للشعوب ،
وبفضلِ الرأيِ العامِ العالمى .. ورأىُ الشعوبِ له تأثيرٌ يساوى
تأثيرِ القنابلِ الذرية .



ليحمل الاستعمار عصاه على كتفه .. ويرحل

نبحث الدول الاستعمارية في أن تحتل بورسعيد .. لكن
هل كان احتلال بورسعيد نصراً لانجلترا وفرنسا والدول
العظمى ؟

قاموا بالعدوان علينا .. فانتصرنا .. واستطعنا أن نخطم
العدوان ، فالعدوان لا ينتصر ، بل هُزم العدوان في بلادنا ،
كما هُزم العدوان في كل بلد من بلاد العالم .. هُزمت الدول
الكبرى والأساطيل والطائرات والمؤامرات .. وكان لنا
الشرف أن نهزم بريطانيا وفرنسا بعد أن هزمتنا كلاهما
على انفراد من قبل . وفي يوم ٦ نوفمبر انتهى العدوان
على مصر بخيبة كبرى وهزيمة سياسية عظيمة للدول الاستعمارية .
هزيمة للوسائل التي كانت تتبع في القرن التاسع عشر ، وهزيمة

للتآمر .. الذين تأمروا علينا فى سنة ١٩٥٦ سقطوا واحداً وراء الآخر .. راح « لايدن » .. وراح « جى موليه » ..

انجلترا طلعت من العدوان بأزمة مالية مريرة .. وباعت الأسطول البريطانى بعد الحرب والعدوان على السويس ..

ومصرُ طلعت من العدوان أكبر مما كانت .. وأثبت الشعبُ أنه يستطيع أن يحوّل دولا كبرى إلى دولٍ من الدرجة الثانية ودولٍ من الدرجة الثالثة .. المعركة كانت نتيجتها أن الأمة اكتشفت نفسها ، وعادت إليها ثقتها بنفسها .. فكم من دولة غزت مصر ، ثم ذهبت وبقيت مصرُ محافظةً على شخصيتها وروحها وقوميتها ووحدةها ، رغم أنف الطغاة المستبدين ، ورغم الاحتلال ..

إن مصرَ عاشت آلاف السنين وانتهت الامبراطوريات ، انتهت الغزاة ، وكانت مصر دائماً مقبرةً للغزاة .. فليحمل الاستعمار عصاه على كتفه ويرحل ، أو يقاتل حتى الموت دفاعاً عن بقائه .

* * *

وفى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ انسحبت القواتُ المعتديةُ .. خرجنا بعد العدوان وقد ضحى البعض منا بدمائهم ..

ضحينا بالدماء وبالأرواح وبالأموال وبالأبناء ، ولكن خرجنا
رغمَ هذه التضحيات ونحن أشدُّ قوة .. هذا نصرٌ حلوٌ ..

بعد جلاءِ الإنجليزِ عن مصرَ مرتين في سنة واحدة ،
نشعرُ جميعاً بالاستقلالِ الكامل ، الاستقلالِ الحقيقي ..
الاستقلالُ الحقيقيُّ معناه أن تكون حراً في بلدك .. أن تحسَّ
أنك في بلدك .. ببلدك وحدك .. تمشي فيه وتشعر بعزتك
وكرامتك .. ونحن اليوم ... كلُّ واحد منا يستطيع أن يجلس
وحده ويفكر وحده ويخرج بنتيجة ..

نحن بلد مستقلٌّ .. والاستقلال الحقيقيُّ ليس بالأمر السهل ..
نحن بلدٌ مستقلٌّ .. لأنه ليس في بلادنا جيوشٌ أجنبية .. ليس
هناك قواعدٌ أجنبية في بلادنا .. لا أحلافَ عسكرية تربطنا
بأية دولة أجنبية .. لا نفوذَ لأية دولة أجنبية أو سيطرةَ
لأجنبيٍّ لكي يُملَى لإرادته أو يغيرَ وزارة أو يسقطَ وزارة ..
لا نفوذَ إلا للشعب ..

هذا الشعورُ هو الذي كنا ننادي به أيامَ الطفولة دون
أن نعرفه .. ففي عهد الاحتلال لم نتمتع بالحرية .. كنا ننادي
بهذه الألفاظ ولم نكن نعرفها .. أما اليوم فأنا أتكلمُ كرجل
حرٍّ في شعبٍ حرٍّ تخلص من الاحتلال والاستعبادِ والذل .

إننا كما حققنا هذا الاستقلالَ وهذه الحرية بدماثنا ، فإننا
سنحرس هذه الحريةَ أيضاً بدماثنا ، بعرقنا ودموعنا وأرواح
شهادتنا وجماعهم ..

نستطيع أن نحمي هذا البلد ، ونعلنَ أن مصر كلمتها جبهةٌ
واحدةٌ ، وسنقاتل دائماً لآخر قطرةٍ من دماثنا في سبيلِ بناءِ
بلدنا .. إننا نقاوم ومعنا العالمُ أجمعُ ضد مجرمي الحرب
وضد تجار الحروب ..

ولقد علمتني تجربةُ هذه الشهور دروساً كثيرةً في أكثر
من طريق .. ورغم أن هذه الأحداث قد أحزنتني ، إلا أنها
زادتني عبرةً ، وذلك لسببٍ واحد ، هو أنني كنت أثق
بنيّات الزعماء والساسة الغربيين ، وكنت أعتقد أن هناك
بعض الأمانة والأخلاق في محيط السياسة والدبلوماسية الدولية ،
ولكنَّ الطريق التي سلكتها بريطانيا بالنسبة لأزمة السويس ،
كما يسمونها ، والطريقة التي اتبعتها الغزو الغادر لمصر البريئة
المسالمة بواسطة القوات الاستعمارية الصهيونية بعد أن أكدوا
لنا وللعالم كلّه ، أنهم لن يلجأوا إلى الحرب ، والبدء بإطلاق
الأكاذيب ، والانهاء بإطلاق القنابل ... كلُّ هذا أقنعي
بفسادِ ثقتنا في الغرب ..

لكن بعد الانسحاب من بورسعيد هل يُشَسّ الاستعمار ؟
قطعاً الاستعمار لم ييأس . ولم يسلمْ بالهزيمة .. إن المعركة
لم تنتهِ لأن الاستعمار لم يحقق أهدافه . لن يسلم ويترك نفوذَه
في الشرق الأوسط .. إن الاستعمار الذي أراد أن يضربَ
القوميةَ العربيةَ في بورسعيد لم يتراجع .. ولم يتقهقر .. بل
سيحاول دائماً بكل الوسائل والطرق .. فالهزيمة التي لاقاها
الأعداءُ والتي لاقاها العدوان ، لم تكن نهايةَ المعارك ، ولكنها
كانت تدل على أنها بدايةٌ ومقدمةٌ للمعارك التي نعيشها
الآن ، والتي قد تكون أشدَّ عنفاً ، وقسوة .



الحصار.. والتهديد وحرب الجوع

بعد الانسحاب من بور سعيد كان هناك شكل آخر
من المعارك .. قابلنا معركة أخرى .. تعرضنا لحرب الدعاية
وحرب الأعصاب والحرب الاقتصادية فالاستعمار الذي لم ينجح
في الحرب المباشرة ، سيحاربنا حرباً غير مباشرة ..

كنا ندرك حاجتنا إلى الوقت لكي نبني بلادنا ولكن
الاستعمار كان يرى غير ما نراه .. كان همه ألا يترك لنا
وقتاً .. هكذا كانت خطته .. وأخذ الاستعمار يتحرش بنا ..
وبدأت سلسلة من المناورات ..

لقد كانت سياسة الغرب هي تجويعنا ، وذلك بعد فشل
العدوان المسلح علينا ، فقد جمدت بريطانيا والولايات
المتحدة أموالنا في بنوك بريطانيا وأمريكا .

تعرضنا للحرب الاقتصادية بعد أن فشلت حرب الأساطيل والطائرات .. كنا في حاجة إلى شراء القمح بعد أن نفذ مخزوننا منه بعد ظروف العدوان ، ورفضت أمريكا أن تبيعه لنا رغم الفائض الكبير لديها حتى إنهم لا يعرفون كيف يتخلصون منه ، وبرغم أن أموالنا مجمدة في بنوك أمريكا ..

رفضت أمريكا أن تبيعنا القمح وكان الهدف من ذلك أن تحدث مجاعة ، وتتحكم فينا وبهذا تحقق بالوسائل السلمية ، الأهداف التي كانت تسعى إليها بريطانيا وفرنسا بالحرب .. إن القطن هو محصولنا الرئيسي ، ولا بد لنا أن نبيعه .. ورفض الغرب شراءه .. وعرضت روسيا علينا أن تشتري قطناً منا .. لقد كان يجب أن نبيعه .. ولقد بعناه شاكرين للذي اشتراه .. إنه ساعدنا في التخلص من الحصار المفروض علينا ..

كانت الدول الاستعمارية تعتقد أننا سنموت من الجوع .. وكانت الدول التي حاربتنا تعتقد أننا لن نستطيع أن نجد الأموال التي نشترى بها القمح حتى نصنع منه الخبز ونأكل .. وهي تعرف أن القمح الذي نريده يكلفنا ٢٠ مليون جنيه ، وهي تعرف أننا من غير نقد أجنبي ، فأموالنا مجمدة في بنوك هذه الدول . وساعدنا الاتحاد السوفيتي ، عرضت

علينا روسيا ما أردنا ..

واستطعنا أن نكسب معركة التجويع .. لم نمت من
الجوع ..

واستطعنا أن نعيش ..

وامتنعت أمريكا عن بيع الأدوية حين طلبنا ذلك بالبحر ..
هذه الأعمال عدائية من جانبهم .. من ناحيتهم ..

وبالرغم من هذا تمكنا من تجاوز جميع هذه العقبات ..
لم يؤثر هذا العمل فينا أوفى أهدافنا .. ربما شعرنا بالضيق
وببعض المضايقات ، لكن رغم هذا تمكنا من تخطي
جميع هذه العقبات ، واستطعنا أن نحقق احتياجاتنا وأن
نعتمد على أنفسنا ..

الحصار الغربي كان في الواقع نعمة لنا ، فقد كان مصدر
قوة اقتصادية بدلاً من أن يكون مصدر ضعف . لقد جعلنا
نعتمد على منتجاتنا وسلعنا الاستهلاكية ، وفي نفس الوقت
استطعنا أن نأتي بحاجاتنا الضرورية رغم الحصار ..

كنا بلدًا يعتمد اعتماداً كلياً على الزراعة .. بلدًا يعتمد
كلياً على الاستيراد من الخارج . كنا نستورد المسامير من الخارج
والإبرة وبكرة الخيط .. لم تكن هناك بضاعة لا نستوردها

من انجلترا أو من أمريكا .. واليوم نستطيعُ أن نرى كلَّ هذه
البضائع ونستطيع أن نصنعها .. نصنعها في بلدنا ..

إنها نقطةُ تحولٍ فعلا في تاريخِ بلدنا يجبُ أن يشعَرَ من
أجلها كل فردٍ من جيلنا بالفخر ..

وانتصرنا في معركةِ الضغطِ الاقتصاديِّ .. استطعنا أن
ننجوَ من هذا الضغطِ ومن هذا الحصارِ بعد أن تكاثفتْ علينا
جميعُ الدولِ الكبرى وغير الكبرى أيضاً . التي تمشي في ذيلها
وفي ركابِها .. ولم نمتَ من الجوعِ الذي أرادوا أن يفرضوه
علينا ..

إننا نريدُ الاستقلالَ لبلدنا .. هذه هي سياستنا وهي معروفةٌ
واضحةٌ وضوحَ النهارِ وليسَ فيها التواءٌ .. لكن ، المشكلة ،
أن أعداءنا لا يريدونَ لنا أن نسيرَ نحو تحقيقِ أهدافنا في سلام .
ونحن شعبٌ محبٌ للسلام .. ولكننا لانقِرُ سياسةَ الضغطِ
والتهديدِ ولنْ نخضعَ لها .. ولانستطيعُ أن نفرطَ في سيادتنا
أو في كرامتنا الوطنيةِ . ولنْ نضحىَ بحريتنا واستقلالنا
لأى سببٍ من الأسبابِ .. وإذا كان التهديدُ هو حربُ أعصابٍ
فإن أعصابنا شديدةٌ ، متينةٌ ، قويةٌ ، وأعصابنا أبرَد مما كانت .
إن الشعبَ العربيَّ سيقاومُ الاحتلالَ في كل بلدٍ وفي كلِّ مكان



أحمد سوكانو
بطل كافع ضد الاستعمار

ولن يُرهبنا التهديد ولن تُرهبنا الأساطيلُ أو القنابلُ الذرية ..
هذا الشعبُ لا يخافُ .. والتهديدُ لا يزيدهُ إلا تصميمًا وعنادًا
وإن الخطرَ ليضاءُفُ حيويته ..

لقد قاومَ الشعبُ دائماً الاحتلالَ ، وانتصرَ الشعبُ ..
قاومهُ في آسيا وفي أفريقيا بل قاومهُ في أمريكا نفسها ، لأنَّ
أمريكا حاربتُ بريطانيا وانتصرتُ واستقلت .. إن أمريكا
قامتُ بثورةٍ في ٤ من يولييه .

في شهرِ يولييه أيضاً ، شهر الثوراتِ والانتصاراتِ ..
أمريكا قامتُ بثورةٍ لتحصلُ على استقلالها ولتقضىَ على
الاستعمارِ ولتبنىَ الولاياتِ المتحدةَ الأمريكيةَ المستقلة ،
قامتُ بثورةٍ من أجلِ التخلصِ من الاستعمارِ البريطانيِّ ومن
أجلِ رفعِ مستوى المعيشةِ بين أرجاءِ الولاياتِ المتحدةِ
الأمريكيةِ .. أمريكا قامتُ بهذهِ الثورةِ وانتصرتُ . حاربوا
الاستعمارَ كما حاربنا الاستعمارَ ليحصلوا على الاستقلالِ
ويرفعوا من شأنِ بلادِهِم .. ثاروا على بريطانيا وتخلَّصوا
من الاستعمارِ البريطانيِّ ورفعوا مستوى الولاياتِ المتحدةِ ..
وثرنا نحنُ على الاستعمارِ وحاربناه . لتتخلصَ من الاحتلالِ
ولنرفعَ مستوى شعوبنا . التي عانتُ كثيراً من الاستغلالِ
والسيطرة . كيف ينكرونُ علينا حقَّنا في أنْ نرفعَ مستوانا

كما رفعوا مستواهم ؟

كان قبول شعبنا لتحدي بناء السد العالي أمراً ليس سهلاً
أوهيناً في وجه صلافة أمريكية أرادت عندما سحبت عرضاً
بالمساهمة في تمويل السد العالي أن تسيء إلى الاقتصاد المصري
وأن تصور هذا الشعب وكأنه مفلس "غير قادر على تحمل
مسئولية مثل هذا البناء ، بل أرادت بهذه الصلافة أن تصل
إلى حد تضييع ثقة الشعب بنفسه وإسقاط نظامه الثوري ..

حاولنا أن نجعل أمريكا تقف بجانب العرب ، ولكن
«ترومان» ، بعد ١٥ من مايو سنة ١٩٤٨ ، بعد دقيقة واحدة
اعترف بإسرائيل وما حاول أبداً أن يهتم بعربي من العرب ..
ومنذ هذا التاريخ وسياسة أمريكا لم تتغير أبداً .. السياسة
في أمريكا هي إقامة إسرائيل وتأييد إسرائيل ومساعدة إسرائيل ..

وأمريكا عضو في لجنة من أجل حقوق شعب فلسطين
وعودة شعب فلسطين إلى بلاده .. وهذه اللجنة تألقت
سنة ١٩٤٨ ، وموجودة حتى الآن ، فهل يستطيع وزير خارجية
أمريكا أن يقول لنا ما الذي عمله بهذا الخصوص ؟ .. ما الذي
تم من أجل حقوق شعب فلسطين وعودة شعب فلسطين
إلى بلده ؟

كان واضحاً أمامنا منذ شهر يناير ١٩٥٧ أن السياسة الأمريكية اتجهت إلى عملية عزل مصر عن العالم العربي حين أعلن مشروع « أيزنهاور » عزل مصر وراء حاجز الصحراء في سيناء عن الشرق العربي كله ليمنعوا اتصالها به ، وليسهل على إسرائيل أن تواجه جبهات عربية ممزقة .. ولأن وجود مصر ضعيفة ، ضعف للنضال العربي كله .. هكذا يقول التاريخ والطبيعة .. ولكن تأكيد الذات العربية لمصر وجه ضربة قوية ضد خطط الاستعمار ..

وبدأ مشروع « أيزنهاور » بحجة الفراغ في الشرق الأوسط ، ولو فرضنا أن الفراغ قائم لكن من المحتم أن تملأه القومية العربية .. إننا سنملأ هذا الفراغ .. بل لقد ملأناه بالفعل ..

والمشروع ينص على ضرورة الارتباط بسياسة الولايات المتحدة . ولقد أعلنت مصر سياستها . وهي سياسة عدم الانحياز لأي معسكر من المعسكرات وعدم قبول أي معونة مشروطة .. ولم أر معونة أمريكية متجهة إلى التصنيع ، فكل المعونات الأمريكية متجهة إلى الاستغلال .. ونحن لانخدع

كشعب .. والمبادئُ لا بدَّ أن ترتكزَ على الشعب وحده .
وحاول المشروعُ إبعادَ العربِ عن أهدافهم ، وأن يُلقى
مسئوليةَ الدفاعِ عن أرضِ العربِ على غيرِ العربِ .. على
أمريكا .. ولكن ، هل قبلَ العربُ أن تتحملَ مسؤوليةَ الدفاعِ
عنهم دولةٌ أخرى ؟

الشعوبُ العربيةُ اليومَ ترى في نفسها القدرةَ على أن
تتحملَ ... وفشلَ فعلاً مشروع « أيزنهاور » فشلاً ذريعاً ..
كيف تنسى أمريكا تاريخها وتقومُ بهذا الدور الاستعماري ؟
لقد كنتُ أنتظرُ منهم أن يتكلمُوا بمنطقِ العقلِ ، لا بمنطقِ
الاستعمارِ ولكن ماسمعتُهُ منهم كان منطقَ القوةِ العسكريةِ
تحت حججٍ زائفةٍ وأسبابٍ واهيةٍ ..

إن أمريكا حين تعلن غضبها علينا اليوم ، إنما تنتكرُ
لواقعِ الأمرِ في الشرق الأوسط . وتنسى أيضاً تاريخها
وثورتها ، وتنسى أيضاً منطقها والمبادئَ التي نادَتْ بها ..
ونسألُ أمريكا .. نسألُ هؤلاءِ الناسَ : لماذا تعلنونَ
غضبكمُ علينا ؟

إننا نريدكم أن تسمعُوا منطقَ الأحرارِ .. عليكم فقط

أن تفهموا منطقَ الأحرارِ وأن تتناسُوا منطقَ الاستعمارِ ..
إن الأحرارَ منطقُهم مبنىٌّ على الشرفِ فهمُ إذا عاهدُوا ،
عاهدُوا بشرفٍ ، وإذا وعدُوا إنما يعدونَ وهمُ يتمسكونَ
بشرفهمُ .. وإذا دافعُوا عن بلدهمُ ، دافعُوا بشرفٍ ..
وإذا قاتلوا ، إنما يقاتلونَ . بشرفٍ .. ولقد انتهى منطقُ
الاستعمارِ ولا يوجدُ غيرُ منطقِ الأحرارِ ..
لكنَّ منطقَ الأحرارِ لا يفهمُهُ أبداً منطقُ الاستعمارِ ..

الأحرار..والأيدي الخائنة

اليوم بدأ عهدُ الأحرارِ .. من همُ الأحرارُ ؟ من هم
الأحرار بين الأمة العربية ؟

كلُّ مواطنٍ عربيٍّ يمثلُ الأحرارَ .. إنهم شبابٌ من صميمِ
هذا الشعبِ العربيِّ ناداهمُ الضميرُ والشرفُ ليضحُّوا ..
هوؤلاءُ الأحرارُ الذين آثروا الاستشهادَ على أن يعيشوا بين
أرجاءٍ وطنٍ ذليلٍ يسيطرُ عليه العملاءُ ..

الأحرار مستعدون دائماً لأقصى التضحياتِ .. مستعدون
للعملِ وللموتِ في سبيلِ حريةِ بلدهمُ واستقلالِ وطنهم ..
لم يفكرْ شخصٌ منهم في مصيره أو عائلته أو أولاده ،
ولكن كل فرد منهم كان يفكرُ في وطنه وفي شرفه وفي حريته
وفي استقلاله ..

هذا هو منطقُ الأحرارِ الشرفاءِ ، والجمهوريةُ العربيةُ
المتحدةُ تحمّلتْ مسؤوليةَ معاونةِ الأحرارِ في كلِّ بلدٍ عربيٍّ
ضدَّ الاستعمارِ أو ضدَّ أعوانِ الاستعمارِ ..

وأثبتت التجربةُ أن لا مستقبلَ للعملاءِ .. ولن يكونَ
لهم مكانٌ بيننا ، فقد فشلوا في الماضي وسيفشلونَ في المستقبلِ..
ولكن ...

إنَّ أيدى الاستعمارِ ما زالت تبحثُ عن الأيدي الخائنةِ ..
فليكن كلُّ منكم على حذرٍ .. اجثوا عن هذه الأيدي الخائنةِ
واقطعوها دفاعاً عن حريتكم وكرامتكم ومصيرِ أبنائكم
وأحفادكم .. إنهم يعيشونَ على حسابِ الشعبِ ولا يرتوونَ
إلا إذا امتصّوا دماءَه ونهبوا رزقَه .. فحاربوهم وقاتلوهم ..
إن مصرَ التي ظلت ترزحُ تحت أقدامِ المستعمرِ أكثرَ من ٧٠
عاماً تنتظرُ من كلِّ مواطنٍ أن يؤدّي واجبَه ويحمي شرفَه ..

كنّا قبلَ اليومِ ، يحكمنا الاستعمارُ وأعوانُ الاستعمارِ
وكانوا همُ الذين يقررونَ أسماءَ الدولِ في هذه المنطقة ..



وإذا ما قلبنا صفحاتِ التاريخِ ثانيةً ، ولوحاولنا أن
نتساءلَ كيفَ تمكنَ الاستعمارُ منا ، لوجدنا الحقيقةَ المؤلمةَ

تبرزُ أماننا ، أننا نحنُ الذينَ مكنّا الاستعمارَ منا .
فالاستعمارُ له أشكالٌ متعددة . والشكلُ القديمُ للاستعمارِ
يكون احتلالاً مسلحاً بجنود وبقواتٍ مسلحة .. ولكن
الاستعمارَ يتطور معَ الزمن ، والشكلُ الجديدُ للاستعمارِ ..
الذى نحس به الآن .. أنه يحاول أن يحكمَ بواسطةِ
عمالئِهِ الذينَ يستخدمُهُمُ ليتسلطُوا على الشعبِ وليكتبوا
حركاتِ التحررِ . فالاستعمارُ لا يمكنُ أن يسيطرَ على
بلدٍ منَ البلادِ إلا إذا اعتمدَ على أعوانِ الاستعمارِ ..

الاستعمار الجديدُ لا يحكمُ بطريقٍ مباشرٍ كما كانَ يحكمُ
قديماً بالمندوبِ السامى أو بالمعتدِ البريطانى أو بالجيشِ
أو بالقوةِ ، فالاستعمارُ يعلمُ أن السلاحَ والبطشَ والقوةَ
لا تجدى شيئاً أمامَ إرادةِ شعبٍ حريصٍ على حُرّيتهِ
وعزّتهِ .. لذلكَ فهو يعتمدُ على أعوانه ليكونوا همَ السلاحَ
والعصا التى تكافحُ الأحرارَ وتُسكتُ المجاهدينَ .. يعتمدُ
على الخونةِ والمنافقينَ من أبناءِ البلادِ ، وكلُّ من يكونُ فى
خدمةِ الاستعمارِ يعتبرُ خائناً لبلدهِ ولقضيتهِ وخائناً لعروبتِهِ ..

إنَّ سلاحَ الاستعمارِ اليومَ همَ أعوانُ الاستعمارِ .. هؤلاءِ
الناسُ المستعدونَ لبيعِ بلادهمُ بثمنٍ بخسٍ هؤلاءِ الأعوانُ
الذينَ باعُوا بلدَهُمُ للشيطانِ لقاءَ دراهمٍ معدوداتٍ .. وباعُوا

الشرف والأمانة وأرض الوطن وتنكروا لأرضهم ومائهم
وسمائهم والذين مكثوا للاستعمار أن يجعل بلادهم أمة
من الرقيق ..

هوؤلاء هم الذين باعوا أنفسهم للمستعمرين وأصبحوا
عبيداً لهم لقاء الجاه والسلطان ..

إن أعوان الاستعمار الذين باعوا أنفسهم للاستعمار
وباعوا ذمتهم وضمايرهم لا يمكن أن يستعيدوها ، فقد
فقدوا الضماير .. باعوها بثمن بخس .. بثمن رخيص ..

ولا يمكن لأعوان الاستعمار أن يحسوا بمتاعب الشعوب ..
لأنهم هم الذين يمتصون دماء شعوبهم .. ولا يمكن لهؤلاء
الذين تنكروا لضمايرهم ولشعوبهم أن يشعروا بما يشعر به
الشعب وأن يحسوا بما يحس به الشعب .. فالشعب كشعب ،
لا يحس بالطمع ولا يشعر بالغيرة وبالحسد .. الشعب يختلف
عن الأفراد الذين ملأهم الأطماع .. ومنطق الشعوب
لا يقوم على المال ولا الجواهر ولا النفوذ ولا الثروات ..
ولكن منطق أعوان الاستعمار يحسبون حسابه بالمال ..
بالجواهر التي يخزنونها وبالمكاسب المادية التي يأخذونها ..
وأعوان الاستعمار لا يتألمون فقط ضد شعوبهم وضد
بلادهم ولكنهم يبيعون أنفسهم ضد الأحرار العرب في بلاد
العرب الحرة ..

والشعبُ العربيُّ في كلِّ بلدٍ عربيٍّ يعرفُ من هم أَعوانُ
الاستعمارِ ، جميعُ الناسِ يعرفونَ من هم أَعوانُ الاستعمارِ ..
وإذا سألتَ أيَّ فردٍ في الشارعِ في أيِّ بلدٍ عربيٍّ من هم
أَعوانُ الاستعمارِ في جميعِ البلادِ العربيةِ «يكرهُهم» واحداً وراءَ
واحدٍ من الشرقِ إلى الغربِ .

والاستعمارُ قاتلَ حتى الموتِ دفاعاً عن وجودِهِ ..
والاستعمارُ يُقاتلُ مرةً أخرى - حتى موتٍ آخرٍ - معتمداً
على أَعوانِهِ ، وهم لا يزالونَ يحاولونَ أن يفرضوا
مشيئةَ الاستعمارِ وأن يتبعوا سبيلَ الخيانة ..

وهؤلاءِ الخونةُ إذا استطاعوا أن يعمرُوا أياماً
أو شهوراً ، فلنَ يستطيعوا أن يعمرُوا إلى الأبدِ .. قد
يستطيعونَ أن يعمرُوا بعضَ الوقتِ ، ولكن لا يكونُ
لهم الدوامُ مطلقاً ، بل الدوامُ للشعوبِ دائماً ..

هؤلاءِ الخونةُ العربُ لهم يومٌ قريبٌ .. ويومٌ حسابِ
شعوبهم لهم قريب ، فالشعوبُ هي التي تعطى كلَّ
واحدٍ جزاءَهُ الذي يستحقُّه .



والشعبُ العربيُّ في كلِّ بلدٍ عربيٍّ على حذرٍ ، وسيذهب
الخونةُ ، وسينتهى الخونةُ وسيبقى الشعبُ العربيُّ لينتصرَ

ويفرض إرادته ويقم بين ربوع هذه المنطقة ، الحرية الحقيقية والاستقلال الحقيقي والتضامن والوحدة العربية .

لابد لكل مواطن في كل بلد عربي أن يعرف التاريخ ويعرف الحقيقة ، ويعرف نيات الاستعمار ونيات أعوان الاستعمار ..



سارت الثورة لتحقيق الأهداف التي أعلنتها في أول يوم ، وكانت هذه الأهداف عبارة عن آمال وأحلام هذا الشعب .. أحلام من استشهدوا من أبناء الشعب ، وآمال من كافحوا من أبناء الشعب .. آمال آبائنا وأجدادنا .. ولقد كانت لهذه الثورة حين قامت ستة مبادئ مشهورة أولها القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة .

وسارت الثورة لتحارب الاستعمار ، ولكنها اصطدمت بأعوان الاستعمار ، وتبينت أن أعوان الاستعمار خطر على هذا البلد وعلى هذا الشعب ... خطر بل أشد خطراً من الاستعمار ، فإن الاستعمار لا يمكن أن يثبت أقدامه إلا مستنداً على أعوانه من أبناء هذا الوطن .

وكان من المستحيل علينا أن نقضى على الاستعمار إلا إذا بدأنا بالقضاء على أعوان الاستعمار .. نقتلهم من جذورهم .



وبدأت مناواراتٌ طويلةٌ ضدَّ مصر ..

وبدءوا يبحثونَ عنْ مصريينَ يتعاملونَ ويتعاونونَ معهمْ لإقامةِ حكمٍ في مصرَ يخضع للاستعمارِ . بدءوا يبحثونَ عن المصريين الموجودينَ خارجَ مصر .. يبحثونَ عن زبائنهم الذين كانوا يتعاملونَ معهم قبل الثورة .. وكان هؤلاء الناس في بيروت في هذا الوقتِ ، الشخصُ الأولُ كان وزيرَ الداخلية أيام « فاروق » وهو « مرتضى المراغى » ، والشخص الثاني واحدٌ من عائلةٍ « فاروق » وهو « حسين رمزى » .

وكان أولُ هدفٍ لهم أن يبحثوا عن ضعافِ النفوسِ من الانتهازيين من أعوانِ الاستعمارِ ، واستخدمَ الاستعمارُ أسلحةً متعددةً ، كل واحد منا يستطيع معرفتها : المال ، الترغيب ، دفع فلوس لعناصرٍ معينةٍ رجعيةٍ أو خائنةٍ لكنى

تقاوم العناصر والحكومات الوطنية.. وشراء الذمم من أجل تحقيق أهداف الاستعمار، وإسناد عملاء الاستعمار وإعطاءهم القوة والنفوذ حتى يستطيعوا أن يأخذوا الحكم في يوم من الأيام لأنهم إذا أخذوا الحكم، كان الاستعمار هو الذي يحكم بالفعل - يحكم بهم بطريقة غير مباشرة .

وبدأت الطعنات من بعض كبار الناس أو كبار المقام - كما يسمونهم - وهذه الطعنات وهذا الغدر لن يكون عاملاً مؤثراً ، ولكنه عامل معطل .

وأثبتت التجربة أن هؤلاء العملاء لا يستطيعون الحياة إلا في ظل مدافع الاستعمار .. ومدافع الاستعمار عجزت في أوقات كثيرة عن أن تحمي نفسها .. ومدافع الاستعمار لم تعد أقوى المدافع في الدنيا .. كما كانت في الماضي .

ولكن بعد انتهاء العدوان الثلاثي . هل تهاوى الاستعمار؟ طبعاً الذين هُزمت جيوشهم ، وهُزمت أساطيلهم لا يمكن أن يسكتوا ، ولا بد أن يحاولوا بوسيلة ثانية ليحققوا أغراضهم فالاستعمار لم ييأس ولم يسلم بالهزيمة .

وبرغم أنهم لما نزلوا بقواتهم في بورسعيد ، قابلوا الشعب وجهاً لوجه بدون خونة وبدون أعوان للاستعمار . فلمهم لم يقتنعوا بهذا

لم يقتنعوا أبداً ، بل راحوا يبحثون عن أعوانٍ الاستعمارِ
في مصرَ ليتآمروا معهم* وليقضوا على المبادئ التي نعتنقها.
واستطاع الخونةُ من عملاءِ الاستعمارِ أن يتصلوا بأحد الضباط
المصريين .. بدأت المحاولاتُ مع ضابطٍ مصريٍّ في سلاح
الطيران وأعطوه ألفَ جنيه في أول مرةٍ ، ثم وعدوه بألافٍ
أخرى ، حتى وصلت إلى ١٦٢٥ ألف جنيه .. وكانت
خطتهم أن يتصلَ بالضباط المصريين داخل مصر ليعملوا
لحسابهم ولحسابِ الدول الاستعمارية وذلك للتخلص من هذه
الحكومة وإقامة حكومةٍ أخرى تخضعُ للاستعمار وتكونُ
من أعوانِ الاستعمار .

كانوا يتكلمونَ على أساس أن يستعيدوا المجدَ الماضي
ويستعيدوا « الغزبة » التي فقدوها في ٢٣ يولية .

هذا الضابط الذي اتصلوا به وسلموه مبلغ ١٦٢٥ ألف جنيه
سلمَ لنا المبلغ ، سلمه للحكومة ، وأثبت أن في مصرَ روحاً
جديدةً ، ليسَ فيها أحدٌ مستعدٌ أن يبيعَ بلده بأى ثمن... أول
دفعة كانت ١٦٢٥ ألف جنيه ، لكنها لم تشتري شاباً عربياً
لكى يخونَ بلده .. سلاحُ المال لن ينفع ، فالواحد منا
وإن كان لا يملكُ شيئاً يرفضُ المالَ لأن هناك شيئاً اسمه

الشرف لا يمكن أن يقدرُ بمال .

ولم يتمكن بريقُ الذهب من شراءِ شابٍ فقيرٍ عمره ٣٣ سنة .. رفض ٢ مليون جنيه ذهباً ..

لقد أرادَ أعوانُ الاستعمار أن يتجهوا إلى الجيش ليضربوا به الشعبَ فاتصلوا بأحد كبارِ رجال الجيشِ السوريِّ وعرضوا عليه أن يدفعوا له ما يريدُ من أموال ، وقالوا له ، نحن مستعدون لدفع ٢ مليون جنيه أو ٥ ملايين جنيه للجيش ليعمل انقلاباً .

بدأت الاتصالاتُ ، وبدأت الوعود بالأموال ، وهم كانوا في عجلةٍ من أمرهم قبل تثبيتِ الجمهورية ، وقالوا إنهم مستعدون أن يدفعوا المليون الثاني والمليون الثالث ولكن يجب أن يتمَّ الأمرُ بسرعة .

إن هذا الضابطَ كان يكتشفُ المؤامراتِ دائماً فراحوا يشترونه بالمال ليخونَ إخوانه ، ومع إخوانه في الجيش يخون الشعبَ ويعمل انقلاباً لتحقيق أهدافِ الاستعمار .. وفي هذه المؤامرةِ بالذاتِ فإن الوثائقَ كاملةٌ لأنهم سلّموا المبلغَ بالسيكات وليس نقداً ..

واتصل هذا الضابطُ بإخوانه بالجيش ، واتصلوا بي ،

فقررنا أن نأخذ هذا المبلغ للأمة العربية.. كانت خطتنا في هذه
المؤامرة أن نوّممها أيضاً كما أئمنا المؤامرة التي قامت ضد
الشعب العربي في مصر .

لقد تصوّروا أن الشعوب سبيع، تُشترى وتباع، وتصوروا
أن جميع الناس يمكن أن تباع شعوبها وتتصرف فيها .. هناك
ناس " لا تملك شيئاً لكنها لا تباع شرفها بأى ثمن وإن بلغ
ملايين الجنيهات .. وهناك ناس " تملك ملايين الجنيهات ومستعدة
لأن تباع شرفها .

ويكفي أن هناك ناساً لا تُشترى بالمال .. ناساً لا تملك
أى مالٍ ولكنها تملك الشرفَ وتملك الكرامةَ وتؤمنُ
بالشعب .. هناك ناس " لا تباع شعوبها ولا تباع إخوانها بأى
مبلغٍ مهما عظم .

إنّ الاستعمارَ بجميع أشكاله وأنواعه .. القديم والحديث ..
الظاهر والحقى .. أصبح مُهينا لعصرنا ومسبباً لانفجاراتٍ
كثيرةٍ وخطيرة ..

ولننا نرى في أكثرَ من مكانٍ في العالم عودة إلى سياسة
القوةِ والأساليبِ العسكرية .. نرى هذا في «فيتنام» حين
يتعرض شعبها لعدوان أمريكي عسكري سافر ..

والنضالُ ضد الاستعمارِ لم ينتهِ بعدُ .. النضالُ والكفاحُ
سيستمران ما استمرت الحياةُ لأن الحريةَ غاليةٌ وعزيزة .

لآخر قطرة في دمنّا

ومن الطبيعي ألاّ يهدأ الاستعمارُ بل دبّرَ مؤامرة « يونيه ١٩٦٧ » وكانت مؤامرة « يونيه » مؤامرةً مرتبةً ، ومن أقوالِ زعماءِ إسرائيل وقادةِ إسرائيل ومذكراتِ إسرائيل المنشورةِ والتي صدرت بعد سنة ١٩٦٧ ، يعترفون أنهم كانوا يريدون هذه المعركة قبل أن تدخل مصر مرحلة الانطلاق ، قبل أن يتمّ بناءُ السدّ العالي واستصلاحُ الأراضي ، وقبل أن تتمّ خططُ التصنيعِ وتطوير الصناعة .. وقبل أن تستكمل مصرُ بناءَ قواتها المسلحة . .

كانت إسرائيلُ تريد المعركة قبل أن نتمّ بناءنا الصناعي والعسكري وعلى هذا الأساس نستطيعُ أن نقول إن الهجوم الإسرائيلي في ٥ يونيه ، كان مؤامرةً مرتبةً .



وهذه المعركة ، فرضت على الأمة العربية فرضاً ،
ولم يكن غريباً أنها جاءت في هذا التاريخ (سنة ١٩٦٧)
ولنما الغريب أن هذه المعركة لم تُفرض عليها قبل ذلك ..

والاستعمار لم يواجهنا في هذه المعركة صراحةً كما فعل
في سنة ١٩٥٦ ، وإنما بذل جهداً لا بد أن نسلّم ببراعته
في إخفاء دوره وفي تغطية قآمره وتواطئه ، ولعله لم يترك
في النهاية شيئاً أو أثراً يدل عليه غير بصمات أصابعه .

إن ٥ يونيه كان صدمةً .. شعوبُ الأمة العربية كلها

اهتزت لهذا التواطؤ والتآمر وهذا العدوان ، ولكن شعوب الأمة العربية كلها صممت على رفض الهزيمة .. شعوب الأمة العربية كلها قامت وتظاهرت ، وأظهرت شعورها .. خرجت الجماهير تعلن عن تصميمها على القتال ، وعن رفضها للهزيمة ، وعن استعدادها للتضحية ، وتقديم دماؤها وأرواحها فداء لأرضها وفداء لوطنها .. فداء لكرامتها ولشرفها ..

إن الأمة العربية لم تستسلم ولم تخضع .. لم تستطع إسرائيل أن تخضع الأمة العربية .. ولم تستطع أمريكا .. لأن هذا فوق طاقة إسرائيل ، وفوق طاقة الولايات المتحدة الأمريكية .

ومنذ بداية الأزمة ، كان موقف الولايات المتحدة ، هو ذاته موقف إسرائيل على طول الخط .. وبغير تحفظات . بعد ٨ يونية كان هناك قرار الأمم المتحدة في مجلس الأمن بوقف القتال والانسحاب ، وتقدمت الدول الصديقة ، الدول الآسيوية والأفريقية بهذا القرار ، ولكن اعترضت أمريكا على الجزء الثاني من القرار ، وصممت على أن يكون قرار مجلس الأمن (الذى صدر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧) بإيقاف القتال فقط وأن يشطب منه كل شيء ينص على انسحاب القوات المعتدية إلى الأماكن التى كانت فيها قبل العدوان .

ومن الواضح أن أمريكا أساءت للأمة العربية كلها بمساعدة إسرائيل : سياسيا واقتصاديا وعسكريا حتى يستمر الاحتلال .. احتلال الأراضى العربية .. وإسرائيل تستعين بالمعدات الالكترونية وتحصل على الأسلحة مجاناً . والولايات المتحدة تتحمل مسؤولية كبرى فى الطريق الخطر الذى نتحرك نحوه الآن .

إننا فى وسط معركة بالنسبة لنا حاسمة ، فهذه معركة الأمة العربية ضدّ العنصرية الصهيونية .. والمعركة عنيفة .. والمعركة طويلة ، فالاستعمار لن يحمل عصاه على كتفه ويرحل من كل الأرض العربية بالاقناع والمنطق ، كذلك فإن إسرائيل لن تنزاح من مكانها فى وسط الأمة العربية رضاً وسلاماً .. وإذا أردتم الخلاص ، فهبوا كما هبّ أجدادكم من قبل فى وجه الصليبيين . فقد وقف العرب مسلمهم ومسيحهم ، يدافعون عن حريتهم وكرامتهم ، حتى علت راية العروبة ، فيما هوت أعلام الظالمين .

المعركة تقتضى أمة عربية واحدة ، جبهة عربية تواجه أعداءنا .. المعركة تستدعى تعبئة كل بندقية عربية وكل جنه عربى ، وكل فرد عربى فالمعركة مع العدو لها الأولوية على كل شئ .

وشعبُنا المصري، وأمتنا العربية ، كلاهما يخوض الآن معركةَ حياته ومستقبله وحرية .. معركةَ حقِّه في التطور..

وشعبُنا المصري وأمتنا العربية ، كلاهما ليس له بديل عن قبول المعركة في مواجهة قوى شرسة تكره الحياة والمستقبل والاستقلال والحرية ..

إن هناك معركةً واحدةً ، ليس هناك معركةٌ أخرى غيرها في العالم العربي، معركةٌ واحدةٌ تأخذُ كلَّ جهدنا في الاستعداد لها ، فليس هناك وقتٌ لغيرها ، وهي المعركةُ مع العدو .. العدو الذي أسكرته نشوةُ النصر .. وإن المبدأ القائل بأن ما أخذ بالقوة لا يستردُّ بغيرِ القوةِ ، مبدأٌ سليمٌ وصحيح في كل الظروف ..

والقتالُ شرفٌ .. والقتال هدف ، وهناك عدوٌ يحتلُّ الأرض .. وكل الأطراف بل كل الأفراد في أمتنا العربية عليهم أن يدركوا أنه ليس أمامنا جميعاً بديل عن القتال من أجل الحقِّ الذي نطلبُه ومن أجل السَّلام الذي نسعى إليه ..

نحن نريدُ السَّلام ، ولكن السَّلام بعيدٌ .. ونحن لا نريد الحربَ ولكنَّ الحربَ من حولنا وسوف نخوضُ المخاطرَ مهما كانت دفاعاً عن الحق والعدل .. حقٌّ وعدلٌ لاسبيلَ

لتحقيقهما غير طرد قوى العدوان من كل شبرٍ من الأرض
العربية المحتلة .. من القدس .. من الجولان ، من الضفة الغربية
من غزة ، من سيناء ..

وحق وعدل لاسييلَ لتحقيقهما غير استعادة الشعب
الفلسطيني لحقوقه الشرعية وخروجه من خيام اللاجئين ليدخل
مدنه وقراه ومزارعه وبيوته ويعودَ مرةً أخرى إلى
قلب الحياة بعد أن أرغمته الظروف أن يبقى أكثر من
عشرين سنة على هامش الحياة .. هذه هي قضية شعبنا ،
وقضية أمتنا العربية ..

ولا بديلَ لهذه الأمة غير النصر ، لأنّ النصرَ هو بابنا
الوحيد إلى كل القيم الغالية .. قيم الحياة والمستقبل والحرية ..
وشعبنا المصرى ، وأمتنا العربية ، كلاهما مطالبٌ
بالنصر ، لا بديل غير النصر للأمة العربية ، وهى تقدر عليه إذا
أحسنَت الاستفادة من طاقاتها وظروفها ..

طريق النصر مخاطرة ، وطريقُ النصر تضحيات ..
وطريق الآمال الكبرى بذلٌ كبير وإلا فإن الشعوب تقضى
على نفسها بالجمودِ وتقبلُ التخلف . لأنها لا تستطيع أن
تتحركَ ولا تقبل بالمخاطرة ، ولا تقبل على الحياة حلولها
ومرّها .

لقد كان موقفُ شعبنا في ٩ و ١٠ يونيه أكثرَ مما أُستحق،
وأكثرَ مما يستحقُّ أيُّ فردٍ ولكنه بالنسبة لي ، كان يمثل معانيَ
أخرى ؛ معنى استمرارِ النضالِ الشعبي ، ومعنى استعدادِ
الشعبِ لكلِّ التكاليفِ والتضحياتِ ، ومعنى التصميمِ
على المقاومة .

ومن الواضح أن كلَّ فردٍ في أنحاء الجمهورية العربية
المتحدة سیدافع عن كلِّ شبرٍ من أراضيها لآخر قطرةٍ
من دمه ..

كافحُوا واحملوا الرسالةَ والأمانةَ ..



قمنامعأبرحلةطويلة

إن شعبنا صنعَ معجزةً .. وكان يمكن أن يضع أيُّ مجتمعٍ
تعرّضَ لهذه الظروف التي تعرّض لها مجتمعنا .. وكان يمكن
أن تجرفه هذه التياراتُ التي تدفقت عليه .

ولكننا صمدنا للزلازل .. صحيحٌ كنا نفقد التوازن
في بعض الظروف ، ولكن بصفةٍ عامة .. لم نقع على الأرضِ .

ومشاكلنا لاتنتهي بالقضاء على الاستعمارِ والتخلصِ
من قواتِ الاحتلال ، فهناك مشاكلنا نتيجة لسيطرةِ الاستعمارِ
علينا مدةً طويلةً .. معاركنا مع التخلفِ الذي أرغمنا عليه
الاستعمارُ ، ومعاركنا مع أنفسنا ، مع نقطِ الضعفِ فينا .. فهناك
عاداتٌ لاتزالُ راسبةً وباقيةً من أيامِ الاستعمارِ الانجليزي
وأهمها الإسراف .. كلُّ واحدٍ منا ، بدلا من أن يفكر في

نفسه ، يجب أن يفكر في بلده ولا ينسى المجتمع الذى يعيش فيه .. ولابد أن يوفر أكثر ، وتوفيره هذا يجعلنا نعمل أكثر ونرفع المستوى..ولابد من إزالة الاستعمار الفكرى والتقليد ، ودفع التبذير والإسراف عن رأسنا .. حتى لا نخدعنا مظاهر الأمور عن حقائقها وحتى لا ننسى على الطريق أهدافنا الأصلية .

لقد قمنا برحلة طويلة ، لكن كان من المهم أن نعود إلى قياس الطريق الذى قطعناه ، لكى نستعد لمسئولية الطريق الذى يمتد أمامنا ..



والطريق طويل وشاق .. ورحلتنا عليه ليست نزهة نروّحُ بها عن النفس ، وإنما رحلتنا عليه مشاق ومتاعب وكفاح وجهاد .. وكفاح الشعوب لا يستقر عند نهاية .. إنه طريق بعيد المدى .. مداه الحياة نفسها ..

وإني مؤمن أن التاريخ يسير إلى الأمام ولا يعود إلى الوراء أبداً ..

كافحوا واحملوا الرسالة والأمانة ..

يا أبناء مصر .. لقد ثرت من أجلكم وسأموت في سبيلكم

إذا ماتَ « جمال » ، فإنه يموتُ مطمئناً لأنكم كلكم
« جمال عبد الناصر »

لا تخافُوا الموت ، فالدنيا فانية
لن تكونَ حياةُ مصرَ معلقةً بحياة « جمال عبد الناصر »
بل هي معلقةٌ بكفاحكم ..

توقيع طبق الأصل
جمال عبد الناصر

الفهرس

٥	كلمة صغيرة .. للأبناء الكبار
١٠	جو الأسرة وأيام الطفولة
٢٠	بداية عهود الظلام
٢٧	حكم الوحوش
٣١	بدأت اليقظة .. ولكن بأزمة جديدة
٣٨	الخيانة ضربت الثورة من الخلف
٤٣	غدرت بنا بريطانيا
٤٦	الاستعمار فرق الأخ عن أخيه
٥٠	أبشع أنواع الاستعمار
٥٤	العاصمة العظيمة تحرق
٥٩	كافحنا ... قاتلنا ... و ... ثرنا
٦٥	قصة السلاح ... والميزان الذى مال
٧٦	لحظة العمر
٨٠	صورة طبق الأصل
٨٨	وعادت القناة لأصحابها
٩٤	كل انتصار = محطة سرية
٩٨	القناة ليست للبيع ولا للإيجار
١٠٤	خرج الاستعمار من الباب .. وعاد من الشباك
١١٦	ببطولة صممنا أن نفدى بلدنا
١٣٠	ليحمل الاستعمار عصاه على كتفه .. ويرحل
١٣٥	الحصار .. والتهديد وحرب الجوع
١٤٥	الأحرار .. والأيدى الخائنة
١٥٦	لآخر قطرة من دمنا
١٦٣	قمنا معا برحلة طويلة



الطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ٤٥١٢ / ١٩٧١

